الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

تـــاريخ الجـــزائر الثـــقافي

مطبوعة بيداغوجية لدروس مقياس تاريخ الجزائر الثقافي موجهة إلى طلبة السنة الأولى
جذع مشترك علوم اجتماعية

إعـــداد:
د. شوشـــان زهرة

السنة الجامعية: 2021-2022

فهرس المحتويات

1- مفهوم التاريخ الثقافي 04

2- الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني..... 09

3- بعض مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني..... 11

3-1- الأوضاع العامة للجزائر خلال الحكم العثماني..... 11

3-2- انتشار حركة التأليف..... 45

3-3- الثنائية المذهبية (المالكي والحنفي)..... 47

3-4- التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني..... 51

3-5- العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني..... 59

3-6- علاقة العلماء ورجال الثقافة بالسلطة العثمانية..... 66

3-7- رأي الكتابات التاريخية في السلطة العثمانية بالجزائر..... 88

3-8- هجرة العلماء..... 104

قائمة المصادر والمراجع..... 105

السنة الأولى علوم اجتماعية.

المقياس: تاريخ الجزائر الثقافي.

عنوان الوحدة: استكشافية

السداسي: 2

الرصيد: 2

المعامل: 1

الطبيعة: محاضرة

هذه مطبوعة بيداغوجية لدروس مقياس تاريخ الجزائر الثقافي موجهة إلى طلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية، يدرسها الطالب خلال السداسي الثاني، صيغة محاضرة وليس لها أعمال موجهة.

وتسمح هذه المحاضرات بتكوين الطالب في تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، بدءا الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني، ثم بعض مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني تتضمن: الأوضاع العامة للجزائر خلال الحكم العثماني، وانتشار حركة التأليف لما لها من أهمية في الغوص في تحليل الثقافة الجزائرية، بعدها نعرج على عصب تقدم الدول والحضارات ونقصد بذلك التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني، ثم نشرح علاقة العلماء ورجال الثقافة بالسلطة العثمانية موضحين بذلك العلاقة بين السياسي والمثقف. ونختم العمل بهجرة العلماء.

محاضرة 01

تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني

1_ مفهوم التاريخ الثقافي

أ_ مفهوم التاريخ:

كلمة "التاريخ" أثارت جدلا بين القدماء حول أصلها، و ربما السبب في ذلك راجع إلى حقيقة أن كلمة "تاريخ" لم ترد فيما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، كما أنها لم ترد في آيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية"[1]. وتستعمل كلمة تاريخ في بعض اللغات مثل (History) الإنكليزية، و(Histoire) الفرنسية و(Geschichte) الألمانية، و(Historia) الإسبانية للتعبير عن الماضي البشري تارة وعن الجهد المبذول تارة أخرى"[2].

هذا عن المعنى العام في بعض الثقافات، أما عن اشتقاقها اللغوي "كلمة يونانية يدل جذرها على الرؤية ف (Histoire) هو الذي رأى...أما الكلمة (History) الإنكليزية فقد اشتقت هي الأخرى من الإغريقية بمعنى التعلم وأنها كانت تعني حسب ما استخدمها الفيلسوف الإغريقي "أرسطو طاليس" سردا منظما لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيبا زمنيا أم غير مرتبة في ذلك السرد"[3].

أما في اللغة العربية فإن لفظ تاريخ تدل على معان متعددة وقد اختلف العلماء في أصلها، لكن المرجح أنها من الإعلام بالوقت وتحديد الزمن. وقد أشارت المعاجم العربية على هذا معان، فذكرت أن التاريخ هو تعريف الوقت والتوريخ مثله، يقال أرخ الكتاب ليوم كذا وقته"[4]. وجذر كلمة تاريخ هو "ورخ": وهو جذر عربي قديم...مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية... وإن إحدى صفتي الكلمة "ورخ" موجودة في لغات عربية قديمة هي الفينيقية، الأكدية، العبرية، السريانية والعربية الجنوبية والتي تعني "الشهر" أو "القمر"[5].

---

[1] الشرقاوي (عفت محمد): أدب التاريخ عند العرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976، ج1، ص249.

[2] زريق (قسطنطين): نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص4.

[3] جوتشلك (لويس): كيف نفهم التاريخ، تر: عارف (عائدة سليمان)، أبو حاكمة (أحمد مصطفى)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966، ص55.

[4] راجع مادة أرخ على سبيل المثال في:

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، 1970.
- الرازي (أحمد بن أبي بكر): مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1982.

[5] مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط2، ج1، ص ص 49-50.

هذا ما يقودنا إلى استنتاج أنّ كلمة تاريخ ذكرت بمعان مختلفة، وهذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي المعروف لم تظهر في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية الشريفة، علما أنها كانت تستخدم بمعنى التقويم في النقوش العربية الجنوبية ثم استخدمها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين أدخل التقويم الهجري فقد ورد هذا الاصطلاح في إحدى أوراق البردي التي يرجع تاريخها إلى سنة (22 هـ/642م)، مما يدل أن الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين"[6].

نستنتج مما سبق بأن كلمة تاريخ عرف حسب معناها عدة تطورات يمكن تلخيصها فيما يلي"[7]: كان العرب القدماء يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس، وكانوا يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام كما هو متبع في التقويم الهجري، لذا فإن معنى كلمة "تاريخ" كان في مبدأ أمرها هو تحديد الشهر، ثم اتسع فصار التوقيت العام، أي تحديد زمن حدث من الحوادث، ثم تطور مفهوم هذه الكلمة حتى شمل رواية الحدث نفسه من جهة و تحديده من جهة أخرى"[8].

نستخلص من هذا بأن كلمة "تاريخ" كانت منحصرة في معنى الشهر فقط ثم اتسع نطاقها لتشمل التوقيت العام أي تحديد زمن الحدث، وعبد ذلك شملت زمن الحدث مرتبطا بروايته، كما أنها عرفت تطورات أخرى:

هذه الكلمة مرت بعدة أطوار، فبدأت مسيرتها أولا بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام الأول، وبعد أن استخدمت لفترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى أخر وهو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، وكان يستخدم بدلا منها في هذه العملية التاريخية كلمة الخبر، وأخبار، وإخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة "خبر" وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل، وكان ذلك أواسط القرن الثاني للهجرة، ومع بداية القرن الثالث للهجرة صارت كلمة "تاريخ" على العلم بأحداث التاريخ وأخباره وبأخبار الرجال والكتب التي تبحث في ذلك، وقد حلت هذه الكلمة محل كلمتي "الخبر" و"الإخباري" اللتين انتهت استعمالاتهما العلمية وبطل استخدامها في القرن الرابع للهجرة"[9]

يعرف المؤرخ "السخاوي" التاريخ فيقول هو فن يبحث به عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت عما كان في العالم، وأما موضوعه فالإنسان والزمان، ومسائله أحوالها المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان في الزمان"[10]. إذن ركز "السخاوي"

---

[6] روزنتال (فرانتز): علم التاريخ عند المسلمين، تر: العلي (صالح أحمد)، مكتبة المثنى، بغداد، 1963، ص24.

[7] سالم (السيد عبد العزيز): التاريخ و المؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص18.

[8] نهار (حسين): نشأة التدوين التاريخي عند العرب، منشورات اقرأ، بيروت، 1980، ط2، ص6.

[9] مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط2، ج1، ص 51.

[10] السخاوي شمس الدين (محمد بن عبد الرحمن): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص7.

على: الوقائع والإنسان والزمان وكذا الأحوال وحتى العارضة منها فالتاريخ عنده: التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة، الأئمة، وفاة، صحة، توثيق، تجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم"[11].

ويقابل أحوال الإنسان الوقائع إذ يضيف "السخاوي" في هذا الصدد قائلا: ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض خليفة، وزير، غزوة، ملحمة، حرب، فتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي، أو دونها كبناء جامع أو مدرسة أو قنطرة أو رصيف أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد أو خفي سماوي كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي كزلزال، حريق، طوفان، قحط، طاعون، موت، وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام"[12].

أما "ابن خلدون" فيعرف التاريخ في مقولته الشهيرة بأنه فن من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشدّ إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويساوى في فهمه العلماء والجهّال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى تنمو فيها الأقوال وتُضرب فيها الأمثال وتطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق".[13]

نستخلص مما سبق بأن كلمة تاريخ عرف محتواها عدة معان مثل: التقويم والتوقيت، تسجيل الأحداث على أساس الزمن، التدوين التاريخي للأحوال والوقائع ثم العلم بمختلف الأحداث وأسبابها.

الهدف من دراسة التاريخ هو الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن كيفية معالجة المؤرخين للحدث التاريخي، فهل يكتبون بنفس الطريقة ؟. وهل يستخدمون ذات المنهجية؟.

الحقائق التاريخية لا تصلنا كاملة، ولا مطابقة فعلا كما وقعت، فقد نقلت إلينا من خلال كتابات متعددة قام بها المؤرخون وغير المؤرخين. لكن كيف وصلت هذه الحقائق إلى هؤلاء المؤرخين؟. وما مدى مصداقية الحقائق التي توصل إليها المؤرخون؟.

---

[11] المرجع نفسه، ص6.

[12] المرجع نفسه، ص7.

[13] ابن خلدون (عبد الرحمان): المقدمة: تاريخ العلامة ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ط3، ص2.

يؤكد عدد من الذين يتعاملون مع الكتابة التاريخية أن المخرج لورطة المؤرخ هو اللجوء إلى الوثائق والمصادر الأصلية، فالاعتماد على الوثائق هو الأساس الذي يجب الارتكاز عليه لضمان مصداقية أكبر وحسب تعبير "سعد الله أبو القاسم": إننا لا نكتب التاريخ حسب أهوائنا وميولنا، ولكن حسب منطوق ومفهوم الوثائق مع الأخذ بعين الاعتبار جميع معطيات القضية المعالجة[14].

فالوثائق عنصر أساسي في الكتابة التاريخية، لكن الأمر في الكتابة التاريخية ليس بهذه البساطة، فهناك العديد من الحقائق، الفترات الزمنية، والحوادث التي لم تدوّن، ولا توجد وثائق حولها. ولكن، إذا اعتبرنا بأن الكتابة التاريخية تعتمد على الوثائق فقط، فنصل إلى أنه لا نستطيع تحليل وفهم الفترات التي لا نملك وثائق حولها، فلا تاريخ ولا كتابة تاريخية في هذه الحالة.

إن التاريخ يكتب بالاعتماد على وثائق مكتوبة، دون شك، وهذا طبعا إن وجدت. ولكن، يمكن أيضا للتاريخ أن يكتب، بل يجب أن يكتب بدون الاعتماد على هذه الوثائق إن لم توجد، وهذا بالاعتماد على ذكاء المؤرخ، وحنكته التي تسمح له بصنع عسله دون أزهار حسب تعبير " لوسيان فيبفر" (Lucien Febvre)"[15]. وذلك بالاعتماد على علوم أخرى كالجغرافيا الطبيعية، الجيولوجيا، علم الآثار والحفريات، اللسانيات، علم النفس، الكيمياء نعم حتى الكيمياء التي تساعد عبر طرق تقنية بحتة من معرفة مثلا عمر هذا الحجر أو هذه الحفرية عن طريق الكربون 14، ومواد إشعاعية كالراديان، الراديوم والتاليوم، وبالتالي استنباط تاريخ هذه الحضارة وهذا المجتمع ...الخ. أما في حالة نقص الوثائق، فيمكن للمؤرخ استنباط الحقائق من الوثائق المتوفرة بتحليلها، وتنقيحها، ومقارنتها مع بعضها، كما يمكن الاعتماد على بعض الشهادات والآراء حول عصر ما من معاصريه طبعا، لمعرفة حقائق معينة عن ذلك العصر. ويزيد الأمر قيمة إذا اعتمدنا على رأي مؤرخ معين عن عصره، فمثلا انطلاقا واعتمادا على أفكار ابن خلدون وعبد الحاكم وابن حماد حول المجتمعات المغاربية في عصورهم، استخلصنا أن الالتحام بين العناصر البربرية والعربية لم يكتمل في "العصر الوسيط"[16].

هذا عن إشكالية الكتابة التاريخية، أما عن ماهية التاريخ في حد ذاته كعلم من العلوم، فالأمر أكثر تعقيدا. إذ الإشكالية في علم التاريخ شأنها شأن علم الاجتماع تكمن في تعدد تعاريف هذا العلم وماهية مواضيعه. فماذا يدرس التاريخ؟. وإذا سلمنا بأن التاريخ يدرس الماضي فهل يدرس

---

[14] سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج2، ص6.

[15] Aron (Raymond): Dimension de la conscience historique, librairie Plan, 1964, p105. IN : Febvre (Lucien) : Combat pour l'histoire.

[16] Djender (Mahieddine): Introduction a l'histoire de l'Algérie, Enal, Alger, 1991, p 51.

كل الماضي؟. وهل كل ما في الماضي هو من مجال التاريخ؟. وحسب تعبير " فرناند بروديل" (Fernand Braudel) لا يوجد تاريخ واحد، ولا توجد حرفة اسمها مؤرخ، بل يوجد حرف كثيرة في مجال التاريخ، ويوجد عدة أنواع من التاريخ، مجموعة اهتمامات، وجهات نظر وإمكانيات، والتي تتدعم باستمرار باهتمامات أخرى، ووجهات نظر أخرى، وإمكانيات أخرى. وبعبارة أخرى توجد عدة طرق قابلة للنقاش ومناقشة للحديث عن الماضي بالقدر الذي توجد فيه سلوكات في الحاضر".[17]

يفهم من هذا عمق الإشكال في التاريخ، فلا يمكن مثلا أن نجزم بأن موضوعا ما هو من مجال التاريخ، وموضوعا آخر من مجال السوسيولوجيا أو الأنثروبولوجيا. إذ لا يوجد تاريخ واحد يمكن الحديث فمثلا في تاريخ الجزائر نجد التاريخ الاجتماعي، التاريخ الاقتصادي، التاريخ السياسي، التاريخ الديني التاريخ الثقافي. وفي حقل التاريخ الثقافي نجد التاريخ الفني، التاريخ الطقوسي والتاريخ الأدبي. وفي حقل التاريخ الأدبي نجد التاريخ اللغوي، التاريخ النقدي، التاريخ الشفهي. وفي حقل التاريخ الشفهي نجد الحكاية، الشعر، الغناء، والفلكلور... فالأمر إذن غاية في التعقيد.

ب_ مفهوم الثقافة:

يعتبر الفرد اجتماعيا بطبعه، واجتماعيته هذه لا تتأتى إلا إذا تشبع بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه.

عرف العالم "بواز" (boas) الثقافة: بأنها تشمل كل مظاهر العادات الاجتماعية في المجتمع ورد فعل الفرد في تأثره بعادات الجماعة التي يحيا فيها، نتائج الأنشطة البشرية كما تحددها العادات"[18]. وعرفها "مالينوفسكي" (Malinowski) على أنها: ذلك الكل الذي يشمل كل الغدوات والمواثيق للمجتمع والأفكار والفنون والمعتقدات والعادات"[19]. أما "لينتون" (Linton) فيعرفها على أنها: التشكيل الخاص بالسلوك المكتسب ونتائج لسلوك التي يشترك جميع أفراد مجتمع معين في عناصره المكونة ويتناولونها"[20].

---

[17] Braudel (Fernand): Histoire et sociologie dans un ouvrage a plusieurs auteurs traite de sociologie, Puf, Paris, 1968, p83.

[18] هولتراكس (آية): قاموس الإيثنولوجيا، تر: الجوهري (محمد)، الشامي (حسن) ، دار المعارف، مصر، 1973، ص 145.

[19] Malinowski (Bronislaw): Une théorie scientifique de culture, tra : cliquart (pierre), f Maspero, 1970, p 35.

[20] Linton (Ralph): Le fonda culturel de la personnalité , tra : Léotard dynode (André), Paris, 1968, p 44.

أقدم مفهوم للثقافة، وأكثرها شيوعا، ذلك الذي وضعه "ادوارد تايلور" (Taylor) والذي يفيد بأنّ الثقافة: هي ذلك الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد، والفن والأخلاق والقانون، والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"[21]

ننوه استنادا إلى كل ما سبق بأنّ ما يهمنا في المقياس هو الجانب الثقافي في دراسة تاريخ الجزائر.

2_ الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني.

عرف المغرب العربي عدة دول اسلامية أهمها: الرستمية، الأدارسة، الأغالبة، الزيرية، آل خزرون، المرابطون، الموحدون، المرينية، الحفصية، العلوية، الزيانية،... ونتناول بالتحليل:

الدولة الزيانية أو بنو زيان، وهم بنو عبد الواد، ويرجع أصل الزيانيين إلى إحدى القبائل أو الجماعات العرقية ذات الأصول الأمازيغية، التي بسطت نفوذها في الجزائر في الفترة ما بين 1235-1554م، واتخذوا من تلسمان الملقبة بلؤلؤة المغرب العربي عاصمة لهم.

"مملكة آل زيان الاصلية هي مواطن عبد الواد وأحلافهم بني راشد الممتدة طولا من البحر إلى الصحراء وعرضا من ناحية وادي مينة، وجبال سعيدة حيث يجاورون توجين ومغراوة إلى ملوية وفيقين حيث يجاورون مرين وأحلافها" [22]

أصل الدولة الزيانية يرجع أصول بنو زيان أو كما يطلق عليهم بني عبد الواد إلى أكثر القبائل الأمازيغية شهرة في بلاد المغرب العربي، إذ ينتمون للطبقة الثانية من سلالة زناتة، وجاءت تسمية بني عبد الواد نسبة إلى الجد الأكبر لهذه السلالة وهي عبد الواد، وينحدر من الدولة الزيانية عددا من بطون القبائل من بينهم بنو مصوجة، بنو وللو، بنو ياتكتن.

أشارت بعض المصادر إلى أن أحد بطون هذه الدولة وهو القاسم بن محمد ينحدر من نسل السليمانيين، وكان قد تولى الحكم على مدينة تلسمان القائمة في الشمال الغربي من الجزائر،

---

[21] السويدي (محمد): مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر مع الدار التونسية للنشر، تونس، 1991.، ص 51.

[22] مبارك بن محمد (الميلي): تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، دت، ص440.

وتمكن عبد الواد من الولوج إلى جنوب المدينة بعد أن هزمه الفاطميون، فوطّد علاقته بهم بالمصاهرة بتلك القبيلة التابعة لملوك بني زيان.

الدولة الزيانية في تلسمان استوطن بنو عبد الواد في المناطق الجنوبية لوهران، وكان ذلك بعد أن عاشوا شوطاً طويلاً في الترحال وعدم الاستقرار في كنف صحراء المغرب الأوسط، سعياً لتوفير المراعي المناسبة ما بين سلجماسة ومنطقة الزاب بإفريقيا.

الحكم في الدولة الزيانية شهد عام 1229م أحداث غضب عارمة في المناطق التي يقيم بها بنو عبد الواد وتلسمان ككّل، إذ حاول أبو سعيد عثمان والي المنطقة القضاء على وجود بني عبد الواد والتخلص منهم وذلك من خلال إلقاء القبض على مشايخهم، وجاء ذلك بعد أن اتسعت رقعة حكمهم في المنطقة. تدّخل إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي ليخلصهم من هذه المحنة، إلا أن والي تلمسان رفض ذلك تماما، فأثار ذلك الرفض غضب الصنهاجي فلجأ إلى اعتقال أبي سعيد عثمان وإطلاق سراح شيوخ بني عبد الواد، وكان قد أعلن بذلك انسلاخه عن طاعة الموحديّن، وكانت خطوته هذه بمثابة إعلان نصرته لثورة بني غانية التي كانت تسعى إلى إقامة دولة المرابطين مرة أخرى في بلاد المغرب وإحيائها. تمكن إبراهيم بن علان من إتمام الجزء الأول من خطته، وسعى جاهداً لإتمام الجزء الآخر منها وهي القضاء على مشايخ بني عبد الواد، إلا أنه تم اكتشاف أمره وألقي القبض عليه ومن عاونه في هذه المكيدة، وفي هذه الفترة حضر جابر بن يوسف وإخوته إلى المدينة وقاموا بدورهم بإحياء الدعوة وإعادتها للمأمون الموحدي فأصبح أميرا عليها وفرض سيطرته عليها وسيّر أمورها، وفارق الحياة متأثرا بجراحه بعد أن أصابه سهماً خلال حصاره لمدينة ندرومة في محاولة لإخضاع بني عبد الواد إلى ولايته، وكان ذلك في نهايات 1231م. في عام 1232 تمكن أبو عزة زيدان بن زيان من بسط نفوذه على المنطقة، وإخضاع بطون بني عبد الواد إلى جانب القبائل الأخرى تحت سيطرته بفضل قوته وشجاعته، إلا أن بنو مطهر وبنو راشد رفضوا مبايعته، وفارق الحياة في عام 1235م في معركة دارت في تلك السنة، وتولى زمام الأمور يغمراسن بن زيان بعد وفاة الأخير ويعود له الفضل في تأسيس الدولة الزيانية.

_ **قيام الدولة الزيانية** لعب يغمراسن بن زيان المولود في عام 1206م دوراً كبيراً في قيام الدولة الزيانية، ووصل سدة الحكم على إقليم تلمسان بعد أن كتب إليه الخيفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون بالعهد بتولي الحكم على ولاية المغرب الأوسط وعاصمتها. ما ساعده على تنفيذ دوره كحاكم على البلاد ومؤسس للدولة الزيانية هو ما اتصف به من صفات وخصال فتمكّن من وضع حجر أساس متين قوي لهذه الدولة، وهي دولة بني عبد الواد، وامتاز بما قدّمه

لدولته من دفاع عنها ووقوفه بوجه عدوه بكل قوة وشجاعة وبشكل خاص ضد بني توجين ومغراوة، وحاول أن يدرجهم تحت رايته.

_أسباب سقوط الدولة الزيانية الحروب والنزاعات الحدودية الدائرة بين الزيانيين، والحفصيين، والمرينيين. تواجد تحالفات ضد الدولة الزيانية للقضاء عليها وعلى جيوشها. اندلاع حروب داخلية وإثارة فتن داخل الجزائر حتى باتت على أتم الاستعداد للقضاء على مملكة بني زيان. استيلاء القراصنة الأوروبيين وخاصة الإسبان والإيطاليين على خيرات المناطق الساحلية للمغرب وشواطئه. قيام البرابسة بالقضاء على الدولة الزيانية وحماية بجاية وتحريرها من الاسبان.

محاضرة 02

3_ بعض مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

3_1_ الأوضاع العامة للجزائر خلال الحكم العثماني:

دخل نظام ولاية العهد في الدول الإسلامية منذ العهد الأموي وكان ذلك على يد معاوية بن أبي سفيان الذي أوجد هذا المفهوم لغرض التمكين لابنه يزيد من الوصول إلى الحكم. ولم يكن هذا المفهوم الجديد مقبولا من قبل كبار أبناء الصحابة. ونشير إلى أنه لم يتمكن معاوية من تمريره بسلاسة رغم دهائه ودهاء رجالاته الذين اعتمد عليهم في تطوير الحكم الوراثي في بني أمية. ومن القلائل التي وتدها هذا مفهوم الجديد في أوساط أهل الحل والعقد من أبناء كبار صحابة مثل عبد الله بن عمر، عبد الله بن جعفر وعبد الله بن العباس وغيرهم مثل حسن والحسين حفيدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغيرهم كثير والذين كانوا هم أيضا كبار عن يزيد بن معاوية في ميدان العلم والمكانة وتتوفر فيهم شروط الخلافة الشرعية والتي يجب أن تتوفر في من يتطلع إلى هذا المنصب الحساس في الدولة الإسلامية.

وكما أسلفت إن هذا المفهوم لم يمر بسلاسة بل قاد حروبا منها حرب عبد الله بن الزبير مع النظام حسب هذا المفهوم وانتهكت في هذه الحروب خدمات اولها إراقة دماء المسلمين هدرا تعدي على حرمات بيت الله الحرام بالمنجنيق وغيره. وبعدها توصل العالم الإسلامي إلى إقرار هذا المفهوم الذي بقي مستمرا في العهد الأموي. وكان عيبا من العيوب التي ساعدت على سقوط الدولة الأموية. وكذلك استمر في العهد العباسي وكان أيضا عيبا من العيوب التي قوضت الحكم العباسيين، وبعدها أي في سنة 1258 تاريخ سقوط الخلافة العباسية

تهاوى ترابط الدولة الإسلامية وأصبحت دون رابط يربطها حيث لعبت الخلافة رغم الوهن الذي أصابها من جراء تلك العيوب دور الرابط الذي يلملم شتات هذا العالم روحيا.

وفي خضم هذه الأحداث التي عرفها المشرق ظهرت هنالك في آسيا صغرى على يد عثمان بن أرطغرل إمارة عملت على التوسع في آسيا الصغرى منذ 1300، ولما توفي ترك هذا القائد دولة عرف ابنه اورقات كيف يواصل بنائها في جنوب شرق أوروبا اي بعدها عبر الدردنيل وأكسب دولته موضع قدم في القارة الأوروبية داخل من بعده الحكام في نشر الدعوة الإسلامية والتوسع بالبلقان في أوروبا في نشر الدعوة الإسلامية وّام بالتوسع في البلقان في أوروبا أبطال من أمثال مراد الأول حتى عهد محمد الفاتح الذي تمكن من فتح القسطنطينية في سنة 1453، وبعد هذا العهد يأتي الأتراك يتوجهون لضم المشرق أي الشام ومصر وكذا شمال أفريقيا والحجاز واليمن. ومن المميزات الإيجابية لهذه الدولة أن حكامها الأوائل كانوا متشبعين بالروح الدينية.

الحقة وهذا ما يجيب عن التساؤلات التي يطرحها المؤرخون هل تمكنها من لعب دور كبير على مدار العصر الحديث والعوامل التي مكنت لها ذلك حيث أرجعها البعض إلى القوة الجيش وإلى طبيعة العنصر التركي. ولكن لا يجب أن ننسى البعد الديني الذي استطاع أن يصقل هذا العنصر التركي ويجعله يتمكن من بناء دولة لعبت دورا خلال العصر الحديث في الشرق الأوسط وجنوب أوروبا وشمال افريقيا.

ومن العوامل التي نتجت عنها نتائج إيجابية بالنسبة إلى الحكم العثماني هو الابتعاد عن نظام ولاية العهد الذي أدى استلام دولة كبيرة وسقوط غرناطة حيث أنّ الحاكم الذي ضيع البلاد أنبته أمه وقالت له: أبك على ملك مثل النساء لم تحافظ عليه كالرجال.

فمن إيجابيات هذا النهج هو تمكين الأجدار بالحكم. وبعدما مات بايزيد تصارع الأبناء الأربعة على الحكم فكان الحكم من نصيب الابن الاصغر محمد فكان هو الأجدر بالحكم كذلك الرعية أو الشعب كان يعطي الولاء للحكام ويثق بهم، لأنه لم يأت عن طريق الوراثة حيث الشعوب تفقد الثقة في التوريث للحكم. بهذه الطريقة تمكن الأتراك (حكام بن عثمان) من الابتعاد نوعا ما من الاستبداد بالحكم. وفي الاخير تشير إلى أنه توجد سلبية في ذلك الوقت في تولي منصب الحكم حيث ظهرت آفة ولاية العهد بترك آليات بلوغ الحكم مفتوحة فكثيرا ما كانت تحدوها الحروب والولاءات للجيش. وهذا حيث عيب اتصفت به الدولة العثمانية.

أ_ أصل الدولة العثمانية:

مؤسس الدولة العثمانية هو"أرطغرل" بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى، حيث ساعد في نهاية القرن 7هـ الأمير علاء الدين قيقباد سلطان قونية إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقبي انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان "ملك شاه"، فكافأه علاء الدين على مساعدته له بإقطاعه بعض الأقاليم والمدن".[23] وصار يعتمد عليه في حروبه مع جيرانه، وبعد وفاة أرطغرل سنة 687هـ - 1288م عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه وهو عثمان (ابن الأمير علاء الدين) ولم يلبث أن حصل على امتيازات أخرى بعد فتحه لقلعة (قره حصار) عام 688هـ- 1289م، فمنحه الملك لقب "بك" وأقطعه كل الأراضي والقلاع التي فتحها وأجاز له ضرب العملة، وذكر اسمه في خطبة الجمعة وبذلك أصبح عثمان "بك" ملكا بالفعل، لا ينقصه إلا اللقب"[24].

وبفضل دهاء "عثمان" الذي ساعده في استغلال الفرص ارتفعت مكانته. إذ وفي عام 699هـ- 1300م أغارت بعض حشود التتار على بلاد آسيا الصغرى، وأتاحت وفاة علاء الدين آخر سلاطين سلاجقة الروم الفرصة أمام عثمان بك للاستئثار بجميع الأراضي التي أقطعت له، ولقب نفسه بادشاه آل عثمان وجعل مقر ملكه مدينة "يكى شهر" وأخذ في تمصيرها وتحصينها ثم أخذ يوسع دائرة أملاكه وركز اهتمامه على تنظيم بلاده وتأمينها، فلما تم له ذلك تجهز للقتال وأرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم إليه، وقبل البعض دفع الجزية، واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعوهم لنجدتهم غير أنه سيّر لمحاربتهم جيشا يقوده ابنه "أورخان"[25].

وبعد ذلك توفي "عثمان" في 21 رمضان عام 767هـ-1365م عن سبعين سنة، قضى معظمها في تأسيس قواعد هذه الدولة، وذلك بعد أن أوصى بالملك بعده لأورخان (ثاني أولاده) لما يتصف به من علو الهمة وقوة البأس ومضاء العزم، ولم يوصي به لعلاء الدين بكر أولاده لميله إلى الورع والعزلة، فاختص علاء الدين بتدبير الأمور الداخلية. وتفرغ أورخان للفتوحات ونشر الراية العثمانية على كل ما وصلت إليه قواته من بلدان وفي عام 761هـ- 1360 م توفي السلطان أورخان الغازي، وتولى بعده ابنه السلطان مراد الأول الذي توفي سنة 791 ه-

---

[23] فريد (محمد): تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة محمد أفندي مصطفى، مصر، 1893، ص36.

[24] المرجع نفسه، ص56.

[25] المرجع نفسه، ص63.

1388م عن خمس وستين سنة، بعد أن حقق انتصارات عديدة وأضاف إلى سلطنته مزيدا من الأراضي"[26].

وقام أورخان بإنشاء عديد المؤسسات، ففي عهده تم سك النقد الفضي العثماني كما اهتم بالعاصمة بروصة من حيث التعمير والتجميل، فبنى بها المدارس والخانات وكان عهده خطوة مكملة لما بدأه عثمان من قبله، وبعد وفاته جاء ولده مراد الأول (1362م-1389م) والذي واصل نفس السياسة التي كان عليها والده، وسعى للتوسع في الأناضول وتبعه ابنه بايزيد الأول (1389م -1403م) الذي احتل باقي أراضي الأناضول وأحلقها بالدولة العثمانية، وانتهت فترة حكمه بانهزامه في إحدى المعارك بأنقرة حيث وقع أسيرا بيد تيمورلنك، وأعاد هذا الأخير جميع إمارات الغزو إلى سابق عهدها وأعطاها الحماية بعد أن ساعدته ضد العثمانيين"[27].

وتتمثّل المرحلة التالية من مراحل قيام الدولة العثمانية في الفترة ما بين 1403م إلى 1566م، والتي تعتبر مرحلة البناء والتوسع، بحيث عادت الدولة العثمانية إلى بناء نفسها من جديد والتوسع بسرعة في آسيا وأوروبا، وحكمها في هذه المرحلة ستة سلاطين محمد الأول، ومراد الثاني، ومحمد الثاني، أو محمد الفاتح، وبايزيد الثاني، وسليم الأول وسليمان القانوني".[28]

ويعد عهد السلطان سليم الأول (1512م-1520م) الذي تبع حكم والده بايزيد الثاني على العرش، فترة مهمة على الساحة العربية عموما، بحيث تم ضم جزء كبير منها إلى الأراضي العثمانية، فخضعت له أراضي الشام ومصر، ولم يقف عند حد المشرق الإسلامي فقط، بل امتد إلى المغرب العربي وأبعد الأطماع الأوروبية، وفرض الحماية العثمانية على حوض المتوسط من جانبيه"[29]. لقد استمرت الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية في توسعها في شرق أوروبا ووسطها، وذلك لتوفر الظروف والعوامل المساعدة لذلك، كالخلافات الداخلية والصراعات المذهبية والقومية بين شعوبها، مثلما كانت تشهده البوسنة وألمانيا والمجر والنمسا، فضلا عن العداء المستحكم بين الدولة العثمانية والإمارات الإيطالية كالبندقية وجنوة. وفي الوقت الذي كان فيه العثمانيون يصارعون شرق أوروبا، استجدت أحداث في المشرق الإسلامي جعلتهم يوجهون أنظارهم إليه، مستولين على مناطق عديدة في إيران الصفوية، وسيطروا على العراق والشام ومصر وذلك في فترة وجيزة بين 1514م و1518م، كما صارعوا إمارات اليمن والبرتغاليين في الخليج العربي.

---

[26] المرجع نفسه، ص81.

[27] الزيدي (مفيد): موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني (1516م-1916م)، دار أسامة للنشر، عمان، 2003، ص ص 15-17. بتصرف

[28] المرجع نفسه، ص ص 17-18.

[29] المرجع نفسه، ص 25.

وبعد هذه الانتصارات التي تحققت للدولة العثمانية على يد محمد الفاتح وسليمان القانوني وسليم الأول، فإن الفترات التي أتت بعدهم تميزت بتوجه الدولة نحو الانحدار والضعف والانحطاط، إذا ما استثنينا فترات السلاطين العظام الثلاثة، محمد الثالث (1591-1603) ومراد الرابع (1603-1640) ومصطفى الثالث (1756-1783)، وذلك لتوفير عدة أسباب وعوامل، إذ تميزت بنفقات باهظة أتت على أموال الدولة، وغياب السلاطين عن الحكم والتدبير، وتحول الجيش الانكشاري الذي أرهب أوروبا طيلة أربع قرون وحقق أعظم الانتصارات إلى نقمة على الدولة، مما ساهم بقوة في إضعافها وتفكيكها، مما أتاح للدول الأوروبية التدخل في شؤونها والتصارع فيما بينها لتقاسم ممتلكاتها في أوروبا وشمال إفريقيا وآسيا، حتى تحقق لها ذلك بهزيمة دول المحور (ألمانيا، وتركيا، وإيطاليا) في الحرب العالمية الأولى.

كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى نهايتها، وكان الصراع الداخلي فيها أشد عليها من الهجومات الخارجية، فتولى بعد هزيمتها مصطفى أتاتورك، فألغى الخلافة العثمانية وانسحب من جميع ممتلكات الإمبراطورية"[30]

ب_ التواجد العثماني بالجزائر:

تعود أسباب الهزائم التي لحقت بالإخوة بربروس في بجاية إلى سوء الأحوال الجوية، ووصول المدد الاسباني في الوقت المناسب، وكان من جملة دواعي تفطن الإسبان وكثرة التحركات في المتوسط خلال هذه الفترة هو استلاء بربروس على سفينتين من بلاد جنوب واعتبر هذا العمل سابقة خطيرة وأنه جزء من أعمال القرصنة البحرية ومن جهة أخرى قلة المؤونة والعتاد وحصانة المدينة ورغبة السكان في التوجه نحو عقورهم لممارسة حرفهم وجني محاصيلهم ومنه ولو ظهورهم نحو فكرة الجهاد وصدوا عن مساعدة برب روس، وما زاد في تأزم الوضع هو الحصار البحري الذي تعرض له عروج لمدة أربعة وعشرين يوما حتى نقذ البارد، وقلة المؤونة وفي ذلك أن السلطان الحفصي رفض اعطائهم المدد والمساعدة"[31]

وفي خضم هذه الأحداث كانت أوضاع الجزائر مضطربة خاصة بعد معركة تلمسان خاصة أن سلطان بني حفص طلب من الدين الاعتراف بحكمه وكذا قيام ثورات في عدة مناطق مثل زواوة وتنس وشرشال. كما أن التنصرين في هذه الفترة سيندفعون لا محالة بقوة نحو

---

[30] الشناوي (عبد العزيز محمد): الدولة العثمانية دولة الاسلام المفترى عليها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1986، ص123.

[31] ميلالي (يحي): العالم المعاصر الحديث، دار المعارف، مصر، 1965، ص 5.

الجزائر للقضاء على خير الدين الرامي إلى السيطرة على الشمال الافريقي. إن هذه الحالة المزرية والمتردية التي وجد خير الدين نفسه وأوضاع خارجية طامعة، فلم يكن له الا إظهار الولاء إلى السلطان سليم الأول الذي كان في أوج قوته، حيث أصبح يسيطر على جزء منهم على العالم الإسلامي مصر والشام. وفي الحقيقة أن خير الدين قرر الاستعانة بالإمبراطورية العثمانية حتى يتمكن من الحصول على المال والقوة العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر المحدق وهذا مشاورات بين خير الدين وأهل البلاد رضي أهل المدينة باقتراح خير الدين فقبل عرض خير الدين من السلطان العثماني ليعين حاكم المسلمين رسميا في شمال افريقيا"[32].

معتمدا على القوات والسنة ونشاطه يتركز في قيادة العمليات البحرية وولاء خير الدين للدولة الرسمية وسلطانها سليم، وكذلك تبين لنا تفاهم وتماسك الظروف الداخلية والجزائريين ككل".[33] لقد أعطى السلطان سليم منصبا لخير الدين وأصبح القائد الأعلى للقوات البحرية والعسكرية في اقليمه ممثلا للسلطان وبذلك أصبحت الجزائر تحت حكم آل عثمان وأصبح أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر على الدولة العثمانية ودعم السلطان هذا القرار بقرارات تنفيذية، إذ أرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية وألفي من جندي انكشاري سنة 1559 بدأ الانكشارية يظهرون على الحياة السياسية والعسكرية في الأقاليم العثمانية لشمال إفريقيا وأحد السلطان بموجبها قرارات أخرى منها أن تدخل الجزائر رسميا تضم لواء الدولة العظمى سنة 1519م.

إن التوسع العثماني في المغرب العربي كان في معظمه نتيجة لإلحاح السكان على العثمانيين أن يدخلوا تحت لواء هذه الدولة، لتقوية مقاومة الأهالي ضد العدوان الصليبي المتصاعد على ديار المسلمين هناك"[34].

علما أنه كان قد اختلت أحوال الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، وظهر فيها الضعف ومالت إلى السقوط واستولى الإسبان على المرسى الكبير، ووهران، وبجاية، وكانت مقاطعة قسنطينة تابعة للحفصيين، كما أن دول المغرب العربي الحفصية والزيانية والمرينية كانت متخاذلة متنافسة، كل دولة منها تتعدى على الأخرى وتكيد لها وتريد التملك والسيطرة، فكانت سواحل قطر الجزائر مهددة من طرف الإسبان بالخصوص وجمهورية البندقية فينيسيا وجنوة"[35].

---

[32] جلال (يحي): تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الأزرابطة، الاسكندرية، 1999، ص 97.

[33] الشناوي (عبد العزيز محمد) ... مرجع سبق ذكره، ص208.

[34] سليمان نوار (عبد العزيز): الشعوب الإسلامية، الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص 112.

[35] عبد القادر (نور الدين): صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 43.

وما كان الإسبان يجهلون مدى ضعف المسلمين في تفرقهم وتنافسهم، ولذلك انتهز "دون فرناندو" ملك إسبانيا الفرصة في طرد المسلمين من إسبانيا سنة 1492م وهي السنة التي سقط فيها آخر معقل للمسلمين بالأندلس، وهي مدينة غرناطة التي كانت في أيدي بني نصر، ثم أصدر فرناندو قانون منع الديانة الإسلامية في الأندلس ونظم مراقبة شديدة لتتبع المسلمين الأندلسيين وإرغامهم على اعتناق المسيحية، أو الخروج من إسبانيا وحينئذ اشتدت هجرات الأندلسيين إلى بلدان المغرب الإسلامي، علما أنه سبقتها قبل ذلك هجرات بسيطة أخرى"[36].

وكان هذا الصراع الصليبي سببا في اجتذاب عدد من البحارة المسلمين من أقاليم شمالي إفريقيا، وكانوا قد نشأوا في مطلع حياتهم في خدمة الأسطول العثماني، ثم كونوا سفنا كانت بمثابة أساطيل صغيرة تعمل لحسابهم في عمليات النقل البحري، وتجاهد في نفس الوقت ضد البرتغاليين والإسبانيين وأطلق عليها "مراكب الجهاد"، وكان من قادة هؤلاء المجاهدين المغامرين عروج وأخوه خير الدين بربروس".[37]

وكان دون فرناندو ملك إسبانيا وكيسمني الكاردنال، يدركان جيدا عاقبة هجرة المسلمين الأندلسيين إلى مدن المغرب، وأنها هجرة يتحزب فيها المسلمون مرة أخرى ثم يعودون إلى غزو بلاد الأندلس وتقويض المسيحية فيها، لذلك خطط الملك الإسباني تنظيما أوجبا فيه تتبع الأندلسيين هناك، واحتلال المدن الساحلية، وبدأ بالمدن القريبة من الساحل الإسباني، فاستولوا على مدينة وهران سنة 1509م، إذ قتلوا ما يربو عن الأربعة آلاف نسمة من مسلمي سكان المدينة، وأسروا ما يزيد عن ضعف هذا العدد كما خربوا مساجدها وبنوا بأحجارها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس، ونظمت إسبانيا حملات أخرى بقيادة بييدرو نافارو لاحتلال بقية المدن، فاستولى بييدرو نافارو على مدينة بجاية سنة 1510م، ثم سقطت دلس وشرشال ومستغانم في يدهم سنة 1511م، وبذلك باتت مدينة الجزائر في خطر يحيط بها العدو الأسباني المسيحي من كل جهة، وخشي الثعالبة من ذلك، مما جعلهم ينتدبون ممثلين عنهم من شيوخ متيجة والساحل، للذهاب إلى بجاية والطلب من بييدرو نافارو التكرم بإبرام عقد الخضوع، فأحالهم هذا على ملك أسبانيا فيرناندو، فانتدب الثعالبة وأعيان المدينة ملكهم سالم التومي لهذا الأمر، وذهب سالم في 13 يناير 1510م صحبة ملك مدينة تنس أبي عبد الله ومعهما أموال كثيرة وعبيد مسيحيون أطلق المسلمون أسرهم إلى إسبانيا لطلب الأمن، واجتمع الحاكمان بملك إسبانيا دون فرناندو ودارت بينهما المحادثة التي انتهت بقبول الجزائر لدفع غرامة سنوية للإسبان والسماح لبييدرو نافارو بإنشاء حصن الصخرة فوق إحدى جزر مدينة

---

[36] حليمي (عبد القادر): مدينة الجزائر. نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 121.

[37] الشناوي (عبد العزيز محمد) ... مرجع سبق ذكره، ص ص904-905.

الجزائر على بعد 300م، من باب البحر، وبهذا الاتفاق وضع سالم التومي الخنجر الإسباني على نحر مدينة الجزائر، إذ من هذا الحصن ظل الإسبان يهددون سكان المدينة الذين أخذوا يبحثون عن حل لدرء هذا الخطر"[38].

وتطلع الناس إلى شخصية مقاتلة تستطيع أن تأخذ بيدهم في هذه الأزمة وكان طبيعيا أن يكون القائد الذي يلبي آمالهم، بحريا شديد البأس إزاء العدوان الإسباني في شمال إفريقيا"[39]

وكان المهاجرون الأندلسيون ينشرون الأخبار الطيبة في الأوساط الجزائرية عن الأخوين بربروس، فذاع صيتهم، وتكوّنت بذلك سمعة حسنة للأتراك في نفوس سكان مدينة الجزائر من العرب والبربر الذين رفضوا سياسة الثعالبة ونفوذ الخونة وتصرفاتهم فانتدب أغلب سكان المدينة رسلا إلى مدينة جيجل التي كانت بيد الأخوين بربروس يطلبون الحماية من عروج وخير الدين وما كان لسالم التومي أن يعارض في رأي الأغلبية"[40].

وأوفد سكان مدينة الجزائر نحوهم عدة شخصيات بارزة، لإقناعهم بالقدوم لتخليصهم من مضايقة وظلم المسيحيين، وقبل الإخوة بربروس هذا الطلب ورأوا في ذلك أهمية كبيرة لمواصلة نشاطهم"[41].

وكان عروج قد حاصر مدينة جيجل مع إعانة أهالي تلك النواحي، وافتكها من أيدي الجنويز، وكانت لهم فيها حامية تحرسها وذلك سنة 1514، دخل الإسبان مدينة بجاية سنة 1512وحاصرها عروج سنة 1512م فلم ينجح وأصيب بجراح في يده اليسرى فقطعت وجعل عوضها ذراع من فضة، وقد كان في تلك السنوات اتفق رأي الإسبان على غزو مدينة الجزائر والاستيلاء عليها لتخوفهم من سياسة حكم خير الدين وعروج، ولهذا بنوا الحصن الذي هدمه فيما بعد خير الدين"[42]

فلبى عروج دعوة أهل مدينة الجزائر، ومعه عسكر من الأتراك والجزائريين فعرج أولا على مدينة شرشال، فدخلها سنة 922هـ 1512م، ثم انصرف إلى مدينة الجزائر في تلك السنة، فأنقذها من الإسبان الجزائر في تلك السنة، فأنقذها من الإسبان"[43].

وفي سنة 1516م قبل مسير عروج لإنقاذ الجزائريين من الإسبان نزل بشرشال التي كانت في حكم قارا حسن أحد خلفائه، فقتله وجعل حامية في تلك البلدة قيل أنه استراب منه وتخوف، ولعل محمود

---

[38] المرجع السابق، ص 163

[39] سليمان نوار (عبد العزيز): الشعوب الإسلامية، الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص 117.

[40] المرجع السابق، ص 164.

[41] شوفالييه (كورين): الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1541-1510، تر: حمادنة (جمال)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص26.

[42] عبد القادر (نور الدين): ... مرجع سبق ذكره، ص 44.

[43] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بن فارس التركي، خلفه في منصبه والظاهر أن بناء البرج أو الحصن (برج شرشال)، وقع في ذلك الوقت سنة 922هـ 1512م وتم تشييده سنة 924هـ 1518م وكانت وفاة عروج في هذه السنة في نواحي تلمسان"[44] .

كان أحمد بن القاضي في أول الأمر واليا على مدينة بونة (عنابة) من قبل السلطان الحفصي بتونس، ومقاطعة قسنطينة كانت في ذلك العصر للحفصيين ولما استولى الإسبان سنة 915هـ 1509م فإن السلطان أمر القاضي بالالتحاق بعروج، وإعانته بكل ما يستطيع لطرد هؤلاء، فمكنت هذه الفرصة ابن القاضي من العودة إلى أرض الأجداد، فجعل مقره في قرية صغيرة تسمى" أَوُرِير" في قبيلة آيت يحي، وكانت سيطرته ممتدة من جيجل إلى الجزائر، ثم أن أحمد بن القاضي انتقل إلى موضع بالقرب من مستقره الأول، وشمل نفوذ ابن القاضي ما بين نهر سباو ووادي الساحل من جهة، ونهر سباو والبحر من جهة أخرى، وكانت مراسي دلس وأزفون وبجاية وجيجل، مراكز تجارية لهذه الدويلة التي كان يسمى رئيسها عند الفرنسيين بملك كوك، وبعد انصراف عروج من شرشال فإنه توجه إلى الجزائر مصحوبا بجماعته من الأتراك والجزائريين يرأسهم أحمد بن القاضي"[45].

ووصل إلى مدينة الجزائر في أواسط سنة 1516م عن طريق البحر في غليوطتين تحملان مائة تركي تقريبا وهي أول شحنة تركية تدخل مدينة الجزائر، ثم أردفه أخوه خير الدين بنحو 280 تركيا ومعدات حربية حديثة وسفن أخرى تحت قيادة أخيهما إسحاق لمحاصرة حصن الصخرة، وقيل أن عروج جاء عن طريق البر مصحوبا بثمانمائة تركيا وألف مواطن من أهالي مدينة جيجل، بعد أن أرسل 16 غليوطة عليها خمسمائة تركيا إلى مدينة الجزائر، وبدأ عروج برفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع، ثم أخذ يقنبل حصن الصخرة في 12 أغسطس 1516م وشدد الحصار على الحصن وقطع عنه المياه إلى أن اضطر قائد الحصن آنذاك (Mossen –Nicolos-Quint) إلى الذهاب إلى جزيرة ماجوركة وقطع مسافة تزيد عن 200 كلم لتزويد حاميته بالماء والمؤن، لكن هذه المؤن كانت قليلة لذلك انتشر الجوع والعطش بحوالي المائتين من الإسبان الذين كانوا من حراس حصن الصخرة، وكاد عروج أن يقضي عليهم لو لا الفتن والدسائس التي حبكها سالم تومي وأتباعه"[46].

---

[44] المرجع نفسه، ص 45.

[45] المرجع نفسه، ص ص 45-48. بتصرف.

[46] حليمي (عبد القادر): مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 164.

علما أن أحوال دولة بني حفص بتونس، ودولة بني زيان بتلمسان كانت أحوالهما غير مستقيمة، فكانت بعض المدن الجزائرية مستقلة بنفسها، ومنها مدينة الجزائر التي كان لها هيئة في يدها زمام الأمر، تحت رئاسة شيخ، وقد كان تولى عليها في فترة من الزمان العالم الشهير سيدي عبد الرحمان الثعالبي ثم أنه تخلى عن مشيخة المدينة واشتغل بالتعليم والتدريس، وكانت وفاته نحو الأربعين سنة قبل مجيء الأتراك، ثم انتقلت الرئاسة من الثعالبة إلى أولاد سالم من بني علان الهواري، وكان آخرهم الشيخ سالم التومي وكان سكناه بحي حومة باب الواد داخل أسوار المدينة"[47]. وحاول عروج أن يقضي على الحصن لكنه لم ينجح، وعمل المغرضون الدسائس ضده مع إعانة مشيخة البلد، فقتل عروج سالم التومي، وقيل أنه خنقه وهو في حمام داره كما قيل أنه كلف باغتياله غيره، ثم أنه نصب نفسه حاكما على الجزائر، وأعلن جنده بتوليته في البلد ولم يلق من جانب الأهالي معارضة تذكر"[48]. وقع خلاف في تاريخ تولي عروج حكم الجزائر، والذي يظهر أنه كان سنة 916هـ-1510م وهذا ما ذكره عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري في جدول رؤساء الجزائر المنسوب إليه، وقيل سنة 915هـ 1511م"[49].

أما يحي بن سالم التومي فقد مضى إلى وهران بعد مقتل أبيه، يستنجد بالإسبان وبين لهم خطر استقرار الأتراك بمدينة الجزائر، ويستعديهم عليهم بكل سرعة حتى يعيدون إليه مشيخة أبيه على مدينة الجزائر، ولم يكن الإسبان في حاجة لمثل هذه الاستشارة، فقد أدركوا للوهلة الأولى أن استقرار عروج بمدينة الجزائر وبيعة أهلها له سيهدد كل مشاريعهم، وسيقضي على المخططات الصليبية في التوسع عبر أقاليم المغرب الإسلامي، وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعاظم قوة عروج وأخيه خير الدين ستدمر تلك العلاقات التي جهدت إسبانيا في إقامتها مع الفئات المتعاونة معها، وهو أخطر ما كان يهددها، فقررت تنسيق الجهد مع عملائها للقيام بهجوم مباغت على الجزائر، تشترك فيه فيالق عسكرية جديدة"[50].

ولم يكد عروج ينهي تنظيم أمور البلاد تنظيما أوليا حتى وفد عليه أهل تلمسان يستنجدون به لإنقاذهم مما نزل بهم على أيدي سلطانهم الزياني أبو حمو الثالث، الذي زاد عسفه باعتماده على الإسبانيين الذين أعادوا تنصيبه على عرش تلمسان، وأعانوه على الحاكم أبي زيان الذي

---

[47] عبد القادر (نور الدين) ... مرجع سبق ذكره، ص 48.

[48] المرجع نفسه، ص 49.

[49] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[50] العسيلي (بسام): خير الدين بربروس والجهاد في البحر، 1470- 1545م، دار النفائس، مصر، دت، ص ص 96-95.

تم إيداعه السجن بعد انتصار أبي حمو، وتبع ذلك صراعات مريرة واغتيالات كثيرة تسببت في حالة فوضى واضطراب كبيرين"[51]

نظم عروج قوته وانطلق بها من قلعة المشور، حيث اتجه نحو الغرب عبر ممرات ضيقة تؤدي إلى الساحل، وعندما وصل إلى جبال بني سناسن أحاطت به قوة إسبانية تضم خمسين فارسا بقيادة غارسيا لابلازا، ودارت مذبحة ضارية في ظروف غير متكافئة وعندما تم القضاء على كل رجاله، وقف عروج وجها لوجه أمام خصمه غارسيا واستمر العراك بينهما حتى سقط الاثنان بضربتين قاتلتين متبادلتين"[52].

اجتمع مشايخ وزعماء الجزائر لمناقشة الموقف بعد استشهاد عروج، وقرروا أن يسندوا إلى خير الدين واجب إمارة الجهاد بعد أخيه، وألحوا عليه في ذلك لكنه اعتذر عن قبول الإمارة، وبعد إلحاحهم الشديد، قال أنه لا بد من التعاون مع الدولة العثمانية وحاكمها سليم خان الذي سوف يعتمدون عليه في حماية هذه المدينة، ولن يتم ذلك إلا ببيعته والدخول في طاعته والدعاء له في الخطب على المنابر وضرب السكة باسمه، فقبل المشايخ والزعماء ذلك ورضوا به، وهكذا قرر الجزائريون أن تكون بلادهم جزءا من الدولة العثمانية، ووافق خير الدين على البقاء مؤقتا حاكما لهذه الدولة حتى يتخذ السلطان العثماني قراره فيما عرضه عليه أهل الجزائر، ويمدهم بما طلبوه من دعم، عن طريق وفد رحل إلى القاهرة حيث كان السلطان سليم مقيما لتنظيم البلاد، وقابل الوفد الذي كان يرأسه الحاج حسين"[53].

ونجحت البعثة في تحقيق أهدافها، فقد سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة بكلر بك إلى خير الدين بربروس، وهي رتبة تعطي صاحبها صلاحية في اختصاصات إدارية واسعة ومتشعبة، كما تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في الإقليم ممثلا للسلطان، وكان من مدلولات منح هذه الرتبة، أن بلاد الجزائر التي كان يحكمها خير الدين تصبح تحت السيادة العثمانية، وأن أي اعتداء عليها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية نفسها، ودعم السلطان سليم هذا القرار السياسي بقرارات تنفيذية تمثلت في إرسال جيش مجهز بسلاح المدفعية العثمانية"[54].

وهكذا شهد حكم السلطان سليم الأول بداية لتوسع الدولة العثمانية إلى أحد أقاليم بلاد المغرب، وهو بلاد الجزائر وذلك من أجل الحفاظ على الإسلام والعروبة هناك، ولم بعد وفاته عام 1520م

---

[51] المرجع نفسه، ص 101.

[52] المرجع نفسه، ص 105.

[53] المرجع نفسه، ص ص 107-108.

[54] الشناوي (عبد العزيز محمد) ... مرجع سبق ذكره، ص911.

ترك لابنه السلطان سليمان مهمة توطيد السيادة العثمانية على إقليم الجزائر ومد هذه السيادة إلى إقليمين مجاورين هما طرابلس وتونس"[55].

وهكذا أقام كل من عروج وخير الدين قواعد الحكم العثماني بالجزائر، وبعد استدعائه من طرف السلطان العثماني سنة 1533م ترك خير الدين حسن آغا كخليفة له" [56].

محاضرة 03

ت_الأوضاع السياسية:

تميزت الحياة السياسية في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر بعدم الاستقرار وتوالي عدة أنماط من الحكم على السلطة، ويرجع هذا إلى طبيعة الوجود العثماني في الجزائر، فسياسة العثمانيين اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان الخاضعة مما يجعل الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا، أما في المناطق النائية فكان مجال تدخل السلطة المركزية يتضاءل نسبيا.

وقد مر الحكم العثماني في الجزائر بأربع مراحل:

أولا_ مرحلة البايلربايات (1518-1588م):

بدأت هذه المرحلة مباشرة بعد إلحاق الجزائر سياسيا بالدولة العثمانية، وبدأت حين أسند سليم الأول إلى خير الدين حكم الجزائر مانحا إياه لقب البيلرباي " أمير الأمراء"، ليكون بهذا أول بايلربايا تعينه الدولة العثمانية كممثل لها في إيالة الجزائر، وقد أبدى كفاءة عالية على القيادة سياسيا وعسكريا.

كما تميز هذا الحكم بتوالي ثلاث بيليربايات عليه، هم خير الدين بربروس، وعروج بربروس وحسن أغا، وقد كان الحاكم يعين من طرف السلطان العثماني مباشر من الباب العالي.

"انتهى هذا العصر بموت حسن أغا في سبتمبر 1543م، بعد عودته من تلمسان وقضائه على فتنة مولاي أحمد، حاكم تلمسان بعد تحالفه مع الإسبان"[57]

---

[55] المرجع نفسه، ص912.

[56] Kaddache (Mahfoud): L'Algérie durant la période ottomane, opu, Alger,1991, p12.

[57] De Haedo (Diego) : Histoire des rois d'Alger, ed Bouchene, Alger, 1998, p81.

عاصرت هذه المرحلة السلاطين العظام وعصر القوة العثمانية، والملاحظ من خلال هذه الفترة توطيد الحكم العثماني في الجزائر ووضع أسسه التي سوف يرتكز عليها طوال التواجد التركي في الجزائر وكان هؤلاء البايلربايات بمثابة ملوك مستقلين رغم اعترافهم بسيادة السلطان العثماني إذ كانوا يمارسون سلطتهم بأنفسهم أو بواسطة خلفاء لهم يعنونهم في حالة انشغالهم عن إيالة الجزائر..."[58].

ظلت الدولة العثمانية تعين على المغرب بايلربايات كانت هذه الفترة من أخصب فترات الحكم التركي في الجزائر والمغرب، من حيث النشاط في ميدان التوسع وفي ميدان الصراع مع أوروبا بصفة عامة وإسبانيا بصفة خاصة" [59].

بقي هؤلاء البايلربايات على ولائهم للحكم العثماني، وإن كان ذلك على مضض أحيانا. لكن، القسطنطينية كانت لا ترغب في قوة نفوذهم وسطوتهم، هذا ما دفعها إلى إلغاء منصب البايلربايات في المغرب بعد نهاية توسعاتها، وقد قامت بتعيين مسؤولين تحت إمرتها بصفة مباشرة. وكان لهؤلاء البايلربايات أن يحكموا إيالة الجزائر بصفة مباشرة أو بواسطة من يعينونهم نوابا عنهم، لم يكن هؤلاء البايلربايات مقيدين بمواقف الديوان، الذي كان يمثل الإنكشارية أساسا لقد كانوا من رجال البحر لا من الجيش البري.

وأهم ما يميز هذه المرحلة هو مواصلة الجهاد ضد العدو الاسباني، حيث نجح الجيش في إخراج الإسبان من برج الفنار في 1530م، كما تمكن في 1541 م من صد الحملة الاسبانية الثالثة بقيادة الإمبراطور "شارلوكان". وختم هذا التفوق العسكري الذي ميّز المرحلة بتحرير بجاية في عهد البايلرباي " صالح ريس" في 1555م، وانهاء الاحتلال الاسباني في عهد البيلرباي " علج علي" في 1574م.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة تمثل أحسن مراحل الحكم العثماني في الجزائر من الناحيتين الاقتصادية والعمرانية حيث لعب مهاجرو الأندلس دورا هاما في نقل كثير من المظاهر الثقافية والحضارية التي عاشوها في الأندلس إلى الجزائر.

---

[58] هلالي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص130.

[59] عباد (صالح): الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص61.

ثانيا_ مرحلة الباشوات (1659/1588م):

أدركت الدولة العثمانية أن الوقت قد حان لإلغاء مرحلة البايلربايات، واستبدلت لقب البيلرباي بلقب الباشا الذي كان "دالي أحمد" أول من حمله. وتحويل الولايات الثلاث في شمال إفريقيا إلى نيابات يديرها باشوات لمدة ثلاث سنوات رغم أن مرحلة البايلربايات عرفت عدم الاستقرار السياسي إلا أنّ مرحلة الباشوات لم تسلم هي الأخرى من هذا الوضع حيث عرفت هشاشة النظام من جانب السياسي توالي ثلاثة وأربعون باشا على الحكم خلال 72 سنة. أي بمعدل باشا كل سنة ونصف. وقد كان باشوات الجزائر مهتمين بتحصيل أكبر ما يمكن من المال لأنهم متيقنون أن فترة بقاءهم في المنصب قصيرة هذا ما وسع الهوة بينهم وبين الشعب الذي انفصل عنهم واعتبرهم موظفين مخلصين للمال لا غير، وهذا ما أكده "شارل جوليان": لقد عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة أكثر من أربعين باشا تجدد تعيين بعضهم أكثر من مرة، وتعرض الكثير منهم للعزل والسجن على الأوجاق وكان عهد معظمهم قصيرا جدا"[60].

وقد كان البشاوات يستخدمون مناصبهم لجمع المال وقد أرهقوا سكان الجزائر بجشعهم ونهبهم، ولعل هذا كان بسبب تجريدهم من كل سلطة وهذا عام 1659"[61]

هؤلاء الباشوات المعينون لمدة قصيرة لم يكونوا مشغولين بتأكيد سلطة السلطان الأعظم في الإيالة، إذ كانوا غير قادرين على ذلك، فسمحوا للقوة الحقيقية في الإيالة أن تفلت من أيديهم فهم لم يعودوا شخصيات سياسية عسكرية، كما كان الأمر في عهد البايلربايات بل أصبحوا يذهبون إلى شمال إفريقيا لجمع المال الذي كان عليهم ليدفعوه غلى ضباطهم" [62]. وقد تميز عهد الباشوات بالركود والانحطاط، فنتج عن ذلك اضطرابات وصراعات وخلافات متمثلة في طغيان الإنكشارية، وضعف الحكام المجردين من أي سلطة، فكان عهد تمردات وانتفاضات.

أما أهم الأحداث التي رافقت هذه المرحلة فكانت تعرض الجزائر لحملة اسبانية رابعة في 1601، واشتداد التنافس بين فرنسا، بريطانيا وهولندا من أجل الحصول على امتيازات المرجان عبر السواحل الجزائرية، وحق إقامة المحارس العسكرية لحماية سفنهم التجارية.

---

[60] شارل (أندري جوليان): تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: بن سلامة (البشير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983، ص352.

[61] هلالي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص134.

[62] عباد (صالح) ... مرجع سبق ذكره، ص 107.

ثالثا_ مرحلة الأغاوات (1659/1671م):

تمثل هذه الفترة القصيرة غياب السيادة العثمانية الفعلية بحيث أصبح الديوان الذي يتألف من كبار ضباط الانكشارية هو الذي يقوم بانتخاب الآغا المنتدب للحكم، بعدما كان الحاكم يعين من قبل السلطان العثماني خلال مرحلتي البيلربايات والباشوات. وأبرز ما نجم عن هذا الأسلوب الجديد في نظام الولاية تنافس الضباط فيما بينهم للوصول إلى الحكم، وقيام تكتلات عسكرية داخل الفرق الانكشارية.

مثلت هذه الفترة أشد فترة صراع في تاريخ الحكم العثماني في الجزائر، وكانت نتيجة حتمية للمرحلة التي سبقتها. كونها تميزت بتسلط الجيش على الحكم. و تمكن قادة الجيش من الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الأوجاق الذي يرأسه عادة أحد الأغوات، ويعتبر نظام الأغوات محاولة لإيجاد نوع من التوازن والديمقراطية داخل مختلف أجنحة المؤسسة العسكرية المسيطرة على السلطة"[63].

و"كان نظام الأغوات ينطوي على نقاط ضعف كثيرة فقد كان الجند ينتخبون كل شهرين أغا جديد بحسب الأقدمية، فإذا رغب في الاحتفاظ بالسلطة تعرض لثورة الجند، أو القتل، وأصبح القتل الإجراء الوحيد لتبديل الأغوات"[64].

وقد تميزت هذه الفترة بتولي ست أغوات الحكم وهو ما يعادل حاكم كل سنتين، كما تميزت باغتيال معظم هؤلاء الأغوات وكان أخرهم الحاج علي أغا (1665). وكان أولهم البلكباشي خليل أول الأغوات وقاد التمرد بنفسه واغتيل سنة بعد تعيينه خليفة الأغا رمضان.

ولقد شهدت فترة حكمه اضطرابات قمة هرم السلطة، إضافة إلى ما عرفته البلاد من تحركات داخلية. أما على المستوى الخارجي، تميزت بعودة التوتر مع العلاقات مع فرنسا.

بعد استفحال تدخل الإنكشارية في الشؤون الداخلية والخارجية للايالة، قررت طائفة رياس البحر التخلص من نظام الأغوات لإحساسها بالخطر الذي يهددها فعوضت هذا الأخير بنظام الدايات الذي دام من 1671م إلى غاية 1830م"[65].

وكل هذا انعكس على الجزائر بفقدان الأمن، وضعف الهيبة العسكرية أمام الأعداء، وهذا ما جعل المجتمع يميل إلى قادة القوى البحرية "الرياس" أثناء صراعهم مع الأغوات (قادة القوى البرية الانكشارية). وخاصة مع استياء السلطان من قطع الأغوات لكل صلة بالأستانة، وتذمر أفراد المجتمع

---

[63] شارل (أندري جوليان): تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: بن سلامة (البشير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983، ص352.

[64] الميلي (محمد)، الشريط (عبد الله): الجزائر في مرآة التاريخ، مطبعة دار البحث، قسنطينة، 1965، ص25.

[65] Kaddach (Mahfoud) :L'Algérie durant la période ottomane, opu, Alger, 1991, p94.

وانتشار الفساد.

رابعا_ مرحلة الدايات (1830/1971م):

هي أخر المراحل بالجزائر وأطولهم مدة، وكان الداي الحاج محمد التركي هو أول دايات الجزائر بينما كان أخرهم حسين داي، وعرفت الجزائر في هذه المرحلة أفضل أيام العهد العثماني وأكثرها استقرار حيث عرفت خلال 138 سنة 27 دايا، وفي هذه المرحلة وضعت الحدود الإقليمية النهائية للجزائر، كما تم فيه تحرير كل مناطق البلاد من الوجود الأوروبي والإسباني خاصة، وكان آخر معاقل الإسبان في الجزائر المرسى الكبير بوهران الذي حرر من طرف الباي محمد الكبير بصفة نهائية عام 1792. ولما اختار الرياس الحاج محمد التركي دايا للجزائر خلفا للأغا علي أبقوا على الباشا كممثل الباب العالي، كما فعل الأغوات من قبل، استمرت الدولة العثمانية ترسل الباشاوات إلى الجزائر إلى غاية 1711، وقد أكسب النظام الجديد السلطة حيوية سمحت بتجاوز ذلك الركود الذي عرضه في عهد الباشوات والانسداد الذي بلغته في عهد الأغوات، عهد هيمنة الإنكشارية".[66]

كانت سلطة الداي مطلقة إذ يستطيع الفصل في مسائل الحرب والصلح، كما يقوم باختيار وزرائه بنفسه. ومما تجدر ملاحظته أن مباشرة الدايات بمهامهم الإدارية والمالية، كانت تتأثر بسلوكهم، وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز بين صنفين منهم، الصنف الأول زاهدي متاع الدنيا، منصرف إلى الأعمال الخيرية، مثل الداي بابا محمد عثمان، الذي أنفق ثروته الخاصة في تشييد المسجد المقابل لقصره وبناء القلاع والحصون لحماية مرسى الجزائر"[67].

أما الصنف الثاني فعرف بعدم المقدرة على تسيير أعمال الدولة، لأنه توصل إلى منصبه بفضل تمرد الجيش المطالب بزيادة الأجور والهدايا، وكان هؤلاء الدايات يباشرون مهنا وضيعة، كمهنة الفحامين أو الإسكافيين أو الكناسين"[68].

في عهد الدايات أخذت ولاية الجزائر شكلها الأخير وصار يوجد في المراكز إلى جانب الولاية ديوان هو عبارة عن مجلس للشورى وكان أهم أعضاءه متألف من خمسة موظفين، والمسؤول عن الخزينة والناظر لشؤون المالية، ويأتي بعده المكلف بالشؤون البحرية، ويسمى بوزير البحرية، وكان يقوم بمهمة كتابة الديوان أربعة كتاب، وأما الأمور الشرعية فكان ينظر فيها مفتيان واحد حنفي والأخر مالكي لأن الأتراك حنفيون أما الأهالي فمالكيون.

---

[66] عباد (صالح)... مرجع سبق ذكره، ص 128.

[67] سعيدوني (ناصر الدين): النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 1985، ص 25.

[68] Benachenhou (Abdellatif): L'état Algérien en 1830 ,Ses institution sous l'Emir Abdelkader, S,N,E,D, Alger, 1969, p29.

قسمت الولاية إلى ثلاث ألوية بالإضافة إلى اللواء المركزي وكان يوجد على رأس كل واحد من هذه الألوية الشرقية والجنوبية والغربية ما يسمى بالباي. وفي أوائل القرن التاسع عشر صارت تبعية ولاية الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداي كل سنتين أو ثلاثة والتحاق سفن الأوجاق بالأسطول العثماني كلما تطلب الأمر ذلك.

إذن شهدت الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر مجموعة اضطرابات أثرت على استقرار نظام الحكم الذي شهد توالي مجموعة من الحكام، إلا أن هذا كله لم يمنع السلطة الحاكمة من التحكم في الوضع" يجمع الباحثون المختصون في تاريخ الجزائر الحديث على أن القرن السابع عشر كان بمثابة العصر الذهبي للجزائر، ويرجع الفضل في ذلك إلى طائفة الرياس، التي تقوم بدور مزدوج تمثل في تدعيم القطاع الاقتصادي بنشاطها البحري، والتصدي للغارات الخارجية التي كان يشنها الأوروبيون، ولكن شأن الجزائر أخذ يتضاءل منذ القرن الثامن عشر"[69].

وقد تزايدت عوامل الانهيار مما انعكس على الأوضاع السياسية سلبا على المستوى الداخلي والخارجي. وقد تعتبر سياسة التجنيد هذه من إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر، نظرا لما ترتب عليها من نتائج وخيمة، فبعدما كان الجنود يدافعون عن البلاد، أصبحوا مصدر ومنبع للفوضى والضعف الذي ساد البلاد. وما زاد الوضع سوءا هو التغيير الدائم للموظفين الذين حاولوا جمع أكبر ما يمكن من الأموال خلال الفترة القصيرة التي يتولونها، قبل أن يقوم الداي بنقلهم إلى منطقة أخرى أو عزلهم أو قتلهم نتاج لعدم الثقة فيهم.

كما أن فترة الدايات عرفت ازدهار وقوة في تسيير أمور البلاد ومن هؤلاء الدايات : "علي خوجة"، الذي حاول أن يعيد للجزائر مجدها القديم، وقد أدرك أن فساد الجيش وتدهوره قد أعاق حركة ازدهار البلاد فسارع حينئذ إلى إصلاح أحواله"[70].

كما أن الداي حسين سار على نفس السياسة التي رسمها علي خوجة فاستمر حكمه إلى غاية 1830. بعد مجيء الحملة الفرنسية وانتهاء الحكم العثماني في الجزائر. تميزت كذلك المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني بارتفاع نسبة الضرائب التي كانت تفرض على العامة لدفع أجور الجنود، هذا ما أدى إلى تزعزع الوضع السياسي وعدم استقراره بسبب ظهور انتفاضات رافضة لتلك السياسة، أهمها: انتفاضة القبائل، النمامشة، الدرقاوية، وادي سوف والتيجانة... كما تميزت الفترة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر الاضطرابات المتواصلة بالعنف الشديد وبتوتر العلاقات

---

[69] شوتيام (أرزقي): نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره- 1830/1800، دار الفكر العربي، الجزائر، 2011، ص28.

[70] المرجع نفسه، ص28.

بين الحاكمين والمحكومين وبتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وقد أدى كل هذا إلى نهاية عهد دام ثلاثة قرون.

وما ساهم في تأزم الوضع السياسي تلك السلسلة المتواصلة من الحروب التي كانت بين الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، وتعد تلك الحروب نتيجة لذلك الصراع التقليدي الذي عرفته دول المغرب العربي منذ أقدم العصور، وكان العامل المحرك لهذا الصراع التقليدي الذي عرفته دول المغرب العربي منذ أقدم العصور، وكان العامل المحرك لهذا الصراع هو قضية الحدود"[71].

إضافة إلى الضغوط الأوروبية التي زادت من اضطرابات الأوضاع السياسية، فكان الحكام يواجهون ثلاث جبهات قتال متمثلة في مواجهة الجيش المسيطر على الحكم ومواجهة الصراعات والحروب، التونسية المغربية على الحدود وأخيرا مواجهة مواقف ومعارك الدول الأوروبية كل هذا خلق تدني في الاستقرار السياسي للإيالة الجزائرية إبان الفترة الأخيرة للحكم العثماني عليها.

ولعل الصراع الأوروبي مع الجزائر كان أشد وأقوى بين الطرفين لأن الجزائر كانت في مركز قوة لا تقل قوة عن الدول الأوروبية، فسنحت الوضعية المتفوقة للجزائر أن تملي شروطها على غيرها من الأمم بحيث أصبحت الدبلوماسية الجزائرية ترتكز على مبدأين أساسيين أولهما كل دولة لا تعقد معاهدة صداقة أو سلام تعتبر في وضع حرب مع الجزائر، وثانيهما لا يصادق على أي معاهدة لا تعترف بتفوق الجزائر وتجلى اعتراف الدول الغربية بذلك في تعهدها والتزاهما بدفع الإتاوات والهدايا حسب ما يتفق عليه.

أما فيما يخص الصراع الداخلي خاصة الثروات الداخلية التي كان هدفها يرمي إلى عدم الرضوخ للضغوطات المستمرة من طرف الإدارة التركية، وعدم الرضوخ للظلم الذي فرضه واقع لا يتماشى مع المثال الأعلى الذي يمثله المجتمع الإسلامي العادل في المخيال الاجتماعي بصفة عامة.

كما بينت الحقائق التاريخية عن المرحلة السياسية التي مرت بها الإيالة من 1656م إلى 1711م لأن الديوان وأصحاب الحل والعقد من الأعيان والعلماء كان لهم وزن في تعيين ومبايعة الحاكم وفقا للظروف الداخلية والخارجية للإيالة غايتهم في ذلك تحسين الوضع السياسي بالإصلاح الإداري والتنظيم الاقتصادي وبحسب ثقة السكان وامتداد العمران واستمرار الإنتاج والعلاقات في مختلف الشبكات القبائلية والعشائرية وضمان النفقات العامة للخزينة ورواتب الإنكشارية، لذا لم يكن

---

[71] بلحميسي (مولاي): سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص197.

من أولوياتهم التفكير في النظام الملكي حتى وإن كان الحاكم الجديد ينوي ذلك، فكانوا يسارعون في عزله لذلك كان أعضاء الديوان حق التفويض والتنفيذ في تعيين أو عزل الحاكم"[72].

وعموما ما لا يختلف عليه اثنين في التاريخ العثماني للجزائر أن الجهود العثمانية للجزائر أن جهود العثمانيين كانت عظيمة في هذه المرحلة (قبل الاحتلال) تميزت بتحرير المواقع التي احتلها وأخضعها الإسبان، فنجحوا في طرد هؤلاء من كافة المدن الساحلية التي سيطرت عليها.

إذا رجعنا إلى تفاصيل نظام حكم الأتراك وتنظيمات الأهالي المجاورين لمدينة الجزائر مثل المتيجة وبئر تلمسان، إلخ... أعيد إلى الأذهان بأن هؤلاء السكان قد طلبوا من الباشا قائد الايالة أن يعين لهم أحد الأتراك بجمع الضرائب ويقيم بينهم شهيدا على تصرفاتهم وشاهدا على طاعتهم للباشا، واستجابة لهذا الطلب تم تعيين قائد هذه المنطقة ولأمور سياسية، كان الباشا يثق في السكان أكثر من ثقته بعامله. وذلك أن السلطان أو الملك يستطيع الاستغناء عن أي حاكم ولكنه لا يستطيع أن يكون ما هو عليه إذا لم يكن تحت إمرته شعب يشكل أساس حكمه، إذن كان الباشا مستعدا لتأييد شعبه أكثر من استعداده لمساندة عامله، اللهم إلا إذا حظي هذا الأخير بشهادة جزء من السكان لتزكية سلوكه وتبرير مواقفه، هذه هي الطريقة التي استعملها الأتراك لبسط نفوذهم"[73].

محاضرة 04

ث_ الأوضاع الإدارية:

في نهاية القرن السادس عشر كانت مقاطعة الجزائر تشمل إضافة إلى الجزائر الجالية كل من تونس وطرابلس، ولما أدرك السلطان العثماني مراد خان الثالث القوة التي تمثلها هذه المقاطعة التي من الممكن أن تنافس المقاطعة الرئيسة للباب العالي، قرر تقسيم المقاطعة إلى ثلاث وحدات رئيسة، وهي مقاطعة طرابلس، ومقاطعة من طرف السلطان لمدة ثلاث سنوات"[74].

_ **تقسيم الإدارة العثمانية:** يمكن تقسيم الإدارة العثمانية خلال حكمها للجزائر: لكي يحافظ المجتمع على بقائه وتطوره أحدثت السلطة العثمانية تنظيما إداريا مواكبا للتغييرات الحاصلة في البيئة

---

[72] كشرود (حسان): رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية من 1659-1830، إشراف: قشي (فاطمة الزهراء)، ماجستير في التاريخ الحديث (غير منشور)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص16.

[73] خوجة (حمدان بن عثمان): المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق الزبيري (محمد العربي)، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص197.

[74] Chitour (Chems eddine): Algérie le passé revisite, ed Casbah, Alger, 1998, p100

المحيطة، إذ من المؤكد بان التنظيمات وخاصة الإدارية منها تختفي من الوجود عندما لا تكون قادرة على إشباع حاجة في المجتمع وتغيراته الحتمية.

أ_ الإدارة المركزية: تضم حكام معينون من طرف الباب العالي، المجلس الأعلى، والديوان.

ب_ المقاطعات الإدارية: أقامها البيلرباي حسن باشا ومتمثلة في بايلك الجزائر (أو دار السلطان)، بايلك الوسط (أو التيتري)، بايلك الغرب، وبايلك الشرق.

شهد الجهاز الإداري العثماني بإيالة الجزائر تطورا ملحوظا، وذلك منذ استقرار الحكم العثماني بها، حتى استكمل تنظيماته، واستقرت أجهزته مع نهاية القرن الثامن عشر"[75].

فبداية رأى عروج أن يقسم الدولة الجديدة إداريا إلى مقاطعتين: مقاطعة شرقية، يشرف عليها خير الدين، ومقرها الإداري مدينة دلس، ومقاطعة غربية، ويشرف عليها عروج نفسه، ومقرها الإداري مدينة الجزائر".[76]

وبعد أن عين خير الدين بايلر بايا على الجزائر عام 1519م، احتفظ بمدينة الجزائر وما حولها لنفسه، وعين على الجزائر الشرقية، والجزائر الغربية عمالا من قبله... أولهما أحمد بن القاضي الغبريني -سلطان جبل كوكو - في الشرق، وثانيهما محمد بن علي في الغرب. وقد مر تقسيم الجزائر بمراحل، انتهت في عام 1567م، بتقسيمها إلى أربع بايليكيات (مقاطعات)، ثلاثة منها كان يديرها بايات، يعينهم الباشا"[77].

فأولهم باي التيطري، وهو أكبر البايات اسما، لأنه أول من ولته الدولة العثمانية بهذا المحل، وقاعدته المدية. وثانيهم باي الشرق، وقاعدته قسنطينة، وثالثهم باي الغرب"[78].

وكان مقره في بادئ الأمر في مازونة، ثم نقل إلى تلمسان، ثم إلى غيرها، كمدينة وهران بعد الفتح الأول عام 1708م، ثم صار مستغانم، ثم معسكر، ليستقر في وهران بعد الفتح الثاني عام 1792 م، واستمر الحال على ذلك إلى انقطاع حكم العثمانيين بالجزائر".[79]

---

[75] سعيدوني (ناصر الدين):« الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني» في: الجزائر في التاريخ، عدد4، 1984، ص 16.

[76] المدني (أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492/ 1792، ش.و.ن.ت، الجزائر، دت، ص183.

[77] بوعزيز (يحيى): الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج2، ص269. بتصرف

[78] بن عودة) (المزاري): طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص270.

[79] الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق الشيخ البوعبدلي (المهدي)، الجزائر، 1978، ص189.

أما القسم الرابع الذي أطلق عليه اسم" دار السلطان"، فكان تحت الإدارة المباشرة للباشا، وكان يشتمل على المدن الساحلية الممتدة بين دلس شرقا، وشرشال وتنس غربا، ليضاف إلى ذلك شريط داخلي ضيق، يمتد خلف الساحل".[80]

ويتكون البايليك من عدة مناطق تدعى أوطان، وكل وطن كان يتكون من عدة مناطق، أو أعراش، إضافة إلى عدة مدن"[81]. وقد كانت المدن وأحوازها، تدار على يد قائد البلد، وتحته شيخ عرفي، يقال له شيخ البلد"[82].

ت-الميليشيا أو الجيش: ويضم الجنود الأتراك (الإنكشارية) قبائل المخزن، الزبنطوط، الطوابجي.

ث- طائفة الرياس: تتكون من القيادات العليا من الذين يعملون في الأسطول البحري وكان لها تأثير بالغ على قرارات دار السلطان وهذا كون الأسطول البحري هو الحامي الحقيقي للدولة، وهو أهم الروافد المالية (القرصنة).

وتجدر الاشارة بأن الجيش في عهد الدولة العثمانية، كان قائما على دعامتين هما: الجيش النظامي المتمثل في الأوجاق وفي مقدمتها فرق الانكشارية، والجيش الاحتياطي المتمثل في عشائر المخزن فضلا عن البحرية التي كانت تمثل جانبا مميزا في القوة العسكرية الجزائرية.

ج_ الميزانية العامة:

تمثّلت في الميزانية القادمة من الباب العالي مخصصة لتغطية التكاليف الحربية ومداخيل القرصنة والضرائب المفروضة على القبائل وأوقاف ومداخيل بيت المال.

كانت هذه على العموم أهم الروافد والمداخل التي تخص الخزينة العامة لدار السلطان، لكن أهم المداخل التي كانت تصل خزينة الداي هي تلك القادمة من البايات من الضرائب المفروضة على القبائل المختلفة في البيلك، وكان بيلك الشرق أكثرهم عطاء كونه كانت فيه الأراضي الأكثر خصوبة "[83].

الإدارة العثمانية لم تكن بالقوة المزعومة، ولم تكن صلتها بالطبقات الاجتماعية كبيرة، ورغم اعتمادها على قبائل تشكلت على مصالح اقتصادية، وهي قبائل المخزن، والتي كانت تساعد الإدارة التركية

---

[80] جون بابتست (وولف): الجزائر وأوربا، ترجمة وتعليق سعد الله (أبو القاسم)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص117.

[81] Benachenhou (Abdellatif) : L'état Algérien en 1830 ,Ses institution sous l'Emir Abdelkader, S,N,E,D, Alger, 1969, p20.

[82] بن عودة (المزاري): طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة بوعزيز (يحي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص274.

[83] Morad Boudia (Abdelhamid) :La formation sociale algérienne précoloniale, opu, Alger,1980, p322.

على جميع الضرائب خاصة، مع تمتعها باستقلالية نسبية في طريقة الجمع هاته، يعتبر تشكل قبائل المخزن دليل لا على قوة الدولة العثمانية وإنما دليل على ضعف المجتمع من الداخل والتاريخ الجزائري في هذه الفترة هو تاريخ صراع بين السياسات (المتمثلة في الدولة) والدين (المتمثل في مختلف المذاهب والفروع والطرق الصوفية...) والاقتصاد (المتمثل في مختلف أشكال الملكية).
إن تاريخ الجزائر في هذه الفترة خاصة هو تاريخ تقوقع واجترار، تاريخ ضعف حضاري برز مع دخول الفرنسيين، والشاهد على كل هذا الضعف الحضاري هو الإنسان نفسه.
لكن، مع دخول العثمانيين للجزائر شهدت المنطقة استقرار سياسي فرسمت حدودها واختفت الإيديولوجيات المختلفة المتمثلة في تلك الدويلات المتواجدة (دولة بني حماد، صنهاجة...) فتاريخ الجزائر طغت عليه الفلسفة، والإيديولوجية الإسلامية ووجود تفكير نابع من الدين الإسلامي، والإيديولوجية من حيث وجود أحزاب ودويلات متصارعة.

محاضرة 05

ح_الأوضاع الاقتصادية:

لم يكن للأتراك دور في تطور البيئة الاقتصادية لإيالة الجزائر "فلو استثمر الأتراك المبالغ الضخمة التي كانت تدرها أرباح القرصنة في مجالات الاقتصاد المحلي المختلفة لتحسن وضع الايالة الجزائرية، لكن الأتراك وجهوا هذه الأموال لخدمة مجموعة من الأفراد وعلى نطاق ضيق إذ انحصرت على الفئة الحاكمة والموظفين"[84].
وكانت تتصف بالضعف الاقتصادي رغم أنها "غنية وذات خصوبة وكثيرة السكان، ويفسر هذا الضعف بأنه ناتج عن فقدان الصناعة، وانعدام النشاطات المنتجة والحواجز التي تقيمها الحكومة من أجل الإشراف على مظاهر الاقتصاد كلها واحتكارها"[85] .
المجتمع الجزائري هو مجتمع ريفي بنسب جد مرتفعة قبل 1830 ويتضح ذلك فيما يلي:
_ **أنواع الملكية :** تمثلت في أملاك البايلك، العرش، الملك.
أ- البايلك: (العزل) هي الأراضي التي تمتلكها الدولة والتي كانت تصادر من قبل القبائل الثائرة، وهي موجودة بكثرة في الناحية الشرقية للجزائر (خاصة بايلك قسنطينة). "مفترض لأن البايلك

---

[84] التميمي (عبد المالك خلف): «ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي» في: المجلة التاريخية المغربية، العدد30-29، 1973، ص116.
[85] بونو (سلفاتور): «العلاقات من الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي»، تر: بن التومي (أبو القاسم) في: مجلة الأصالة، العدد76، ص118.

استعملت لوصف ملكية الداي للعاصمة، أو البايات في كل من قسنطينة، التيتري، ومازونة ثم وهران في الغرب".[86]

يقوم بفلاحة الأراضي بواسطة أعمال السحرة (التويزة) التي يفرضها الأتراك على قبائل الرعية. وإذا كانت غير كافية فإن الباي يشغل (الجماسين) وهم الذين يتلقون من الدولة الحيوانات والبذور ويتقاضون 5/1 من الإنتاج كأجرهم"[87]

ويرى المؤرخون والكتاب الأوروبيين أن طريقة الاستغلال في الأرصف كانت عبارة عن أعمال مفروضة شاقة. لكن، الحقيقة أن جهلهم لمفهوم التويزة هو الذي أدى بهم هذا القول، فالطريقة المستعملة في أراضي البايلك هي الخماسة، أما بقية الأراضي فإن التويزة هي العمل المستخدم فيها.

ب- أراضي العرش: كانت تغطي حوالي خمسة ملايين هكتار، تعتبر مناطق سكنها معظم سكان الأرياف الجزائرية.

ت- أراضي الملك: عرفت من طرف الفرنسيين أنها ملكية خاصة في سنة 1830 غطت مساحة 4.5 مليون هكتار. "كان يصل عدد أفراد مجموعة في ملكية واحدة من 300 إلى 400 شخص، و بما أن القبلية في شمال إفريقيا يتراوح أفرادها من 500 إلى 40000 فرد، فإننا نتكلم عن القبلية وملكية القبلية وليس الملكية الفردية، فإن بيع الملكية كان ممنوعا في القبلية وحتى إذا قرر البيع فإن القبلية جزء من أجزائها له الكلمة الأخيرة في ذلك وفي بعض القبائل يمكن للفرد أن يبيع. بشرط أن يكون المشتري من نفس العرش"[88].

وقد شهدت الأوضاع الاقتصادية تخلف وتراجع وضعف بسبب رداءة التقنيات الفلاحية المستخدمة في الزراعة، فالزراعة كانت أساس اقتصاد الجزائر، نظرا لاتساع نشاط الفلاحين مقتصرا فقط على الزراعة، بل تعداه إلى تربية الحيوانات (كالأبقار والأغنام والماعز والخيول والنحل). "كانت الجزائر تصدر سنويا من ميناء مدينة الجزائر إلى أوروبا حوالي 20 إلى 25 ألف قطعة جلدية و17 إلى 8 ألاف قنطار من الصوف، وإلى جانب الإنتاج الحيواني كانت الجزائر تصدر كميات كبيرة من القمح والشعير والخضر الجافة بالإضافة إلى كل هذه المواد كانت الجزائر تصدر مواد أخرى، كالشموع والخمور والتمور والزيت والتبغ والموالح والعنب والجوز والحيوانات"[89].

---

[86] Noeschi (André) :Enquête sur le niveau de vie des population rurales constantinoises, P.u.f, Paris, 1961, p248.

[87] هلالي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص116.

[88] خلوف (علي): السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999، ص27.

[89] شوتيام (أرزقي): نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره- 1830/1800، دار الفكر العربي، الجزائر، 2011، ص ص 59-60.

كما عرف المجتمع الجزائري في العهد العثماني صناعة تقليدية، كانت تستمد خامتها الأولية في أساسها من الإنتاج الزراعي والحيواني، وقد أدى تنوع المواد الخام إلى تنوع الإنتاج، فكانت لكل منطقة صناعتها الخاصة. وكان الجزء من الإنتاج يستهلك محليا ويصدر الفائض إلى الخارج.
ومن أهم الصناعات أو الحرف التي مارسها المجتمع الجزائري على المستويين المدينة والريف، هي الصناعة النسيجية والحريرية والقطنية والجلدية والمعدنية والخشبية والفخارية.

عرف الوضع الاقتصادي للجزائر إبان الفترة الأخيرة للعهد العثماني ضعف وتدهور بسبب عدم تطور الطرق والأساليب المستخدمة في الزراعة إضافة إلى استغلال نصف المساحة الزراعية الجزائرية فقط، هذا ما أدى إلى انعكاسات سلبية على المردود الفلاحي إضافة إلى السياسة الضريبية التي فرضتها الدولة العثمانية على الفلاحين مما جعلهم يتخلون عن أراضيهم الزراعية وينسحبوا إلى الجبال والصحاري، هذا من جهة ومن جهة أخرى الثورات وحركات التمرد الداخلية التي شهدتها تلك الفترة، والتي أثرت في الجانب الزراعي وحتى في الجانب الصناعي المتمثل في صناعة الحلي والنسيج ودباغة الجلود، فنقص المواد الخام أثر على المردود الصناعي.
كما أن الضعف الذي أصاب الدولة جعلها غير قادرة على مراقبة المبادلات التجارية إضافة إلى الضرائب والرسوم والنظام الاحتكاري للمواد الأولية، فأثر سلبا على التجارة وكل القطاع الاقتصادي. "أدت حالة النزاعات القبلية وثورات الرعية على السلطة وكثرة السكان في بعض القبائل إلى حالة من الفقر التي كانت الجزائر تعاني منها أثناء الحكم العثماني، ولكنه فقر يعود إلى طبيعة الحكم وليس إلى مواد البلاد"[90] اقتصاديا اعتمد العثمانيون على غنائم البحرية ومداخيلها لدعم خزينة الدولة وتمويلها، وقد عرف هذا النشاط حيوية منقطعة النظير خلال هذه الفترة.
لقد كان نشاط اقتصاد الجزائر في العهد العثماني في وضع حسن وشهد الانتعاش في بداية القرن السادس عشر حتى القرن السابع عشر بسبب عوائد الجهاد البحري وتأثير العنصر الأندلسي بقدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا ادوارا عظيما في زيادة إنتاج الأراضي الزراعية والصناعة والتجارة.
لكن، التدهور والتقهقر أصابه بعد منتصف القرن السابع عشر حتى الاحتلال الفرنسي 1830، والذي كان بفعل عوامل خارجية تمثلت أساسا في الاعتداءات الأوربية وبفعل عوامل داخلية تمثلت أساسا في سياسة الادارة العثمانية التي ميزها إجحاف النظام الضريبي تجاه الأنشطة الاقتصادية كالزراعة، الصناعة والتجارة، وتأخر طرق وأساليب الزراعة والصناعة والتي لم تعرف كيفية تحويل المواد الزراعية إلى صناعية ولم يستثمر في ذلك، وركود التجارة التي انعكست على جميع

---

[90] سعد الله (أبو القاسم): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982، ص157.

مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية. كما ساهم انتشار الأوبئة والطاعون وسنوات القحط في ذلك اضافة إلى التمردات وعدم الاستقرار.

محاضرة 06

خ_ الأوضاع الاجتماعية:

البنية الاجتماعية:

البنية الاجتماعية هي مجموعة منظمة من المؤسسات الاجتماعية والأنساق الاجتماعية وأنماط العلاقات المؤسسية والتي تشكل مجتمعة البنية الاجتماعية. والبنية الاجتماعية هي نتاج للتفاعل الاجتماعي على مر الزمن. أي البنية الاجتماعية هي تراكم تجارب تاريخية مستمرة.

من المفيد ذكر أن المجتمع الجزائري تشكل من مجموعة أنماط للسكان:

- الأقلية التركية:

القوة المسيطرة الأولى في جزائر العهد العثماني كانت متمثلة في الأقلية التركية، وقد تمثلت هذه الطبقة خاصة في المليشيا الحربية المتمثلة في طبقة الأوجاق التي لم يكن عددها كبيرا جدا حيث لم يتجاوز 1500 رجل"[91]. إذ من أهم " العوامل الحاسمة في ظهورها هي الإدارة التركية، ونظامها الاقتصادي المنتهج، لأن النظام التركي في الجزائر لم يأت كبديل للبنى الاجتماعية السائدة، وإنما جاء ليتموقع أساسا فوق هذه البني الاجتماعية"[92]

وننوّه بأنّ الهجمات الاسبانية على الجزائر هي التي أدت بها إلى الاستنجاد بالجيش الانكشاري. هذا الأخير شكل طيلة ثلاثة قرون الركيزة الأساسية لنظام الحكم التركي بالجزائر، ولقد كان أفراده يعينون من قبل السلطة التركية التي عمدت إلى تجديدهم المستمر لهذا فهم لم يشكلوا جماعة اجتماعية ذات تقاليد توريثية وخاصة مع الانفصال النسبي للإدارة في الجزائر عن الإدارة المركزية للباب العالي. ومع عدم وجود قوة ناظمة تسير هذه الجماعة وتتحكم فيها جعل منها قوة اجتماعية مسيطرة مستغلة ومحتكرة، ولكنها في نفس الوقت منغلقة عن ذاتها (كون قوتها تكمن في انغلاقها) حتى أنها لم تسمح للكراغلة الدخول في ميليشياتها وذلك حتى تبقى مقاليد الحكم بيدها.

---

[91] Julian (Charle-André) :Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation, P.u.f, Paris, 2ed, 1979, p03.

[92] Merad Boudia (Abdelhamid) :La formation social algérienne précoloniale, o.p.u, Alger, 1998, p327.

وتجدر الإشارة بأنه "كانت المهمة الأساسية للإدارة التركية هي جمع الضرائب لتغطية حاجيات الجيش الانكشاري من منح، علاوات، عطايا، وأجور، إضافة إلى المستلزمات الحربية، وقد كانت هذه المهمة هي الفريضة الوحيدة للإدارة التركية لأنه لا الأشغال العمومية، ولا التعليم ولا تسيير الموظفين كان من تكاليف الدولة"[93]. وهذا ما يدل على الدور الجوهري للجيش في ضبط الجماعات دون التفاعل معها.

_ الكراغلة:

هم الأفراد المولودين من أم جزائرية وأب تركي، وكانوا يتمتعون بامتيازات إذ آباؤهم ينتمون إلى الميليشيات الحربية كالجند الانكشاري ورياس البحر وكانت أمهاتهم من العائلات الأكثر شهرة. "ولقد تمركز معظم الكراغلة في المدن أو ضواحيها وامتلكوا فيها منازل جميلة، لكنهم لم يصلوا إلى المستوى الامتيازي لآبائهم الأتراك خاصة بعد ثورتهم ضد نظام الحكم عام 1630".[94] حيث همشوا صراحة.

فئة الكراغلة احتلت المرتبة الثانية، وهم المولودين بين تزاوج بين الجند الانكشاري ورياس البحر بالنساء الجزائريات، وكانت هذه الفئة تطمح بالميلاد واللغة والانتماء العائلي للارتقاء إلى المرتبة الأولى في المجتمع. لكن الحكام العثمانيين منعوهم من ذلك، واعتبروهم أبناء عبيد، لأن وجودهم يعبر عن إرادة الأتراك في الحفاظ على طائفتهم.

وظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات العثمانية خاصة مدينة الجزائر وقسنطينة، وتلمسان، وعنابة، وبسكرة، وقد بلغ عددهم مع نهاية القرن 18م بمدينة الجزائر نحو 600 نسمة".[95]

وكان الكراغلة يشكلون طبقة وسطى تمارس العديد من الوظائف كالتجارة والمهام الادارية المتوسطة، وأيضا الانضمام إلى صفوف الجيش والحصول على امتيازات العثمانيين، ومع مطلع القرن 19م، أصبحت معظم المهام الادارية بالجزائر من اختصاصهم، كما كانوا هم العنصر المسيطر من حيث العدد والنفوذ في منطقة تبسة، فيملكون الأراضي ويرتعون عن خدمتها، ويقطنون أحسن وأجمل الأحياء".[96]

---

[93] opcit, p 04.

[94] Gaid (Mouloud) : L'Algérie sous les turcs, ed Mimouni, Alger, 2ed, 1991, p199.

[95] سعيدوني (ناصر الدين): النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 1985، ص 44.

[96] عباد (صالح) ... مرجع سبق ذكره، ص61.

إضافة إلى أنهم لعبوا دورا هاما في بعض الأحداث، إذ وقفوا إلى جانب الداي علي خوجة لإخماد التمرد الانكشاري في سنة 1817، وساهم هذا على الاحتفاظ ببعض الامتيازات وتوليهم المناصب الهامة نتيجة سياسة الترضية التي انتهجها بعض القادة امثال الداي شعبان أغا الذي قام بترقية بعض الكراغلة إلى مناصب سامية حيث ولى بايلك الغرب الكرغلي مصطفى 1636-1648، ومع نهاية العهد العثماني أصبح همهم تنمية ثرواتهم وتنشيط تجارتهم".[97]

وهكذا أدت سياسة التقارب إلى حدوث أثر نسبي في العلاقة بين الكراغلة والأهالي، إذ أصبح الجزائري ينظر إلى الكرغلي نظرة مساوية للأتراك السادة. وعلى العموم اعتنق بعضهم، وأصبح تركيا لغة وجنسا، ويأمون المساجد الحنفية، كما استطاعوا الارتقاء إلى مراكز النفوذ. وتحسين حياتهم بأنفسهم. كما اختلطوا بأهلها وأثروا في الحياة السياسية والاجتماعية الجزائرية، حيث كان سكان بعض الغرب الجزائري على صلة بالإسبان في وهران ".[98]

_ فئة الحضر:

تحتل المرتبة الثالثة في السلم الاجتماعي، وتشمل عادة العلماء، الحرفيين، التجار والصناع... وتسكن المدن. تعود اصولها إلى العهد الاسلامي. اضافة إلى الأندلسيين والأشراف. وهم بذلك خليط من قبيلتي بني قبيلتي بني هلال المتواجدة في سهل متيجة، والمغاربة من قبيلتي بني مزغنة أحفاد الصنهاجيين. كانت لهذه الفئة دورها الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، لكنها محرومة من المهام السياسية، وذلك لاحتكار العثمانيين للسلطة".[99]

وتجدر الاشارة بان هذه الفئة تتشكل من: طبقة الأشراف والجالية الأندلسية.

أ_ طبقة الأشراف: تمثل فئة قليلة العدد، إلا أنها تعود في نسبها إلى أهل البيت. والتي اشتهر معظم افرادها بالاحترام، والتقدير للحكام وباقي السكان. واقتصر نشاطهم في المحافظة على امتيازاتهم، اضافة إلى أنهم لم يؤثروا في نظام الحكم".[100]

---

[97] سعيدوني (ناصر الدين): النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص 96.

[98] المرجع نفسه، ص 43.

[99] المرجع نفسه، ص 97.

[100] حليمي (عبد القادر): مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 268.

لقد استقر الأشراف في المدينة منذ القدم، وهم أحسن وضعية من الأهالي كونهم معفون من الرسوم من خلال الامتيازات التي منحهم اياها عروج. ويشتغل أفرادها في التجارة والصناعة، والبساتين. وتتمثل منتوجاتهم في القمح والشعير، والحرير، والأغنام، والأبقار".[101]

ب_ الجالية الأندلسية:

يعتبرون من أبرز العناصر السكانية المشكلة للمجتمع الجزائري، نظرا لقوتهم العددية، ولدورهم في شتى مجالات الحياة، ويعود تواجدهم بالجزائر إلى الفترة الاسلامية. ثم تواصلت هجراتهم إلى الجزائر، حتى قوي شانهم وازداد نفوذهم خلال القرن 15 مع اضطهاد الاسبان لهم وتهديداتهم في عقيدتهم ولغتهم".[102]

كان للأندلسيين تأثير في المجتمع الجزائري ومكسب تاريخي في المغرب الاسلامي وخسارة الاسبان. لكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا، واستقرت هذه الجالية في كل من شرشال، تنس، دلس، ومستغانم. وقاموا بتشييد مدن جديدة كالبليدة، كما ساهموا في تطوير البحرية الجزائرية بأموالهم وخبراتهم في صناعة السفن والاسلحة، وكذا معرفتهم بالملاحة.

اضافة إلى مساهمتهم في المجال الاقتصادي بتطويرهم للمهن والأشغال اليدوية كونهم يمارسون كل الأشكال الفنية كالخياطة والخزف، والنجارة والفخار. خاصة صناعة الحرير بإدخالهم لدودة القز. ولم يكتفوا بهذا الحد بل ساهموا في تطوير الفلاحة من خلال وضع تقنيات الري بإنشاء السواقي، أما الجانب العمراني فقاموا بتحصين المدينة بواسطة بناء الحصون منها حصن الجزيرة، اضافة إلى هذا تفننوا في النحت والموسيقى، والخط والتعليم والطب والوراقة".[103]

كما عملوا على اثراء الحياة الاجتماعية بتقاليدهم وعاداتهم، حيث تميزوا برقة الذوق، وتميزوا بالمأكولات كطبق اللحم الحلو، والملبس كالقفطان. ورغم مشاركتهم في الأعمال التجارية، والبحرية، والاقتصادية، إلا أنهم لم يطمعوا في الارتقاء إلى المناصب السياسية".[104]

---

[101] عباد (صالح) ... مرجع سبق ذكره، ص 358.

[102] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1998، ص 148.

[103] جون (وولف): الجزائر وأوروبا 1500_1830، تر: سعد الله (أبو القاسم)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 163

[104] بوحوش (عمار): التاريخ السياسي الجزائري من البداية وإلى غاية 1962، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1992، ص 66.

_ فئة البراني:

هم سكان المدينة المؤقتين، أي العناصر المحلية الوافدة إليها من مختلف الأقاليم المجاورة لها. وحتى من داخل البلاد بغرض البحث عن لقمة العيش، وهم بذلك عبارة عن بدو يسكنون الخيام ويعرفون باسم القبيلة.

وينتسبون إلى موطنهم الأصلي، وعلى رأس كل منها أمين مكلف بالسهر على مصالحها وتولي شؤونها، ويساعده في ذلك أعوان.

واختصت كل جماعة من البرانية في المدينة بأعمال معينة، وأبرز تلك الجماعات السكانية التي كانت تشكل جزءا هاما وفعالا في المجتمع الجزائري منذ استقرارها بالمدينة"[105]. ونذكر منهم:

أ_ جماعة البساكرة:

تتكوّن من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ ووادي سوف وتوقرت. وهم حوالي اثنى عشر انضوت تحت البساكرة الذين قدموا إلى المدينة بحثا عن العمل.

وقد عمل أفرادها في مختلف المهن المتواضعة والأعمال الشاقة، كالقيام بحراسة المدينة ليلا بغلق أبواب أحيائها بعد صلاة المغرب".[106] كما كانوا يقومون بإحضار المياه إلى المنازل وينظفون الشوارع، ويحفرون الآبار ويحملون البضائع...

ب_ جماعة بني ميزاب:

ينتسب إليها السكان المنحدرون من غرداية وبني يزقن وبريان والقرارة وبني ميزاب ومناطق الشعابنة وورقلة، وهم من أتباع المذهب الإباضي...وقد اشتهر أفرادها بتسيير الحمامات، ومطاحن الحبوب، والبقالة والجزارة، وكذلك تجارة اللحوم. وعملوا بالمقاهي والدكاكين... واشتهروا بالدقة في العمل والنزاهة...

ت_ جماعة الجيجلية:

يعتبرون من أقدم عناصر البنية الاجتماعية. وقد عرفوا بالعمل في المطاحن والمخابز....

---

[105] شوفاليه (كورين): الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510- 1540)، تر: حمانة (جمال)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص17.

[106] سبنسر (وليم): الجزائر في عهد رياس البحر، تر: زيادة (عبد القادر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص83.

ث_ جماعة الأغواطيين:

ينتسبون إلى مدينة الأغواط وقبيلتي الزناجرة وأولاد نايل. وهم يمثلون العناصر النازحة من الجنوب من الصحراء، وهم أقل شأنا من بقية العناصر، ويشتغلون في استخلاص وتجارة الزيوت، ويقومون بالكيل والوزن ففي الأسواق.

ث_ جماعة القبائل:

ينتسبون إلى منطقة القبائل إلى المناطق الجبلية القريبة من العاصمة الجزائر، بغية العمل، واشتغلوا في الدكاكين والبساتين، وتجارة الفحم والألبان والزيوت.

_ اليهود:

تشكل العنصر المهم بين الدخلاء، ويتفرعون حسب أصولهم إلى ثلاثة اقسام: اليهود الأهالي التوشابيم المستقرين منذ العهد الروماني"[107]. ثم عرفوا باليهود العرب من طرف المسلمين الجزائريين. أما يهود الميغورشيم المعروفين باليهود الأندلسيين، اضافة إلى يهود الإفرنج أو يهود النصارى الذين جاؤوا من البلدان الأوربية خاصة ايطاليا، مثل يهود ليفورن، واستوطنوا الجزائر مثل عائلات بكري، بوشناق وبوخريص. وكانت لهم مسؤوليات واسعة لدى دار السلطان استطاعا بواسطتها احتكار سوق القمح والحبوب.

لقد لعبت الطائفة اليهودية دورا هاما في الميدان الاقتصادي إذ اشتغلوا في عديد الحرف كالتجارة، وخاصة في الخردوات، البقالة، الخياطة، والزجاج بالإضافة إلى صك العملة، والحلي والمرجان. واشتهروا ببيع الغنائم، ولعبوا دور الوساطة التجارية والسمسرة وتفوقوا فيها.

برز اليهود في المعاملات التجارية والمفاوضات بين التجار، وهذا مكنهم من احتكار التجارة الخارجية. "كما ساهموا في التأثير على الحياة السياسية والاقتصادية خاصة في المراحل الأخيرة من الحكم العثماني"[108]. رغم ابعادهم عن ممارسة الحياة السياسية والادارية، إلا أنهم تمكنوا بفضل حنكتهم من دخول خزينة الدولة واستثمروا فيها.

---

[107] سعد الله (فوزي): يهود الجزائر، هؤلاء المجهولين، شركة الامة للطباعة والنشر، الجزائر، 1995، ص120.

[108] شلر (وليم): وليم شلر قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824)، تر: العربي (اسماعيل)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 89.

_ المسيحيين:

هم الدخلاء أو الأجانب عن المجتمع الجزائري الاسلامي، وكانت هذه الفئة تضم التجار والقناصل ورجال البعثات التبشرية. وعملوا في النشاط البحري والمزارع. وقد أفادوا المجتمع الجزائري في تبادل التجارب.

_ الزنوج:

تشكلت هذه الفئة من الأحرار والعبيد السود الذين جاؤوا من الصحراء بحثا عن العمل، ومعظمهم من السنغال والسودان، وعمل العبيد في البيوت في الأعمال المنزلية والبستنة. "أما الأحرار فكانوا في شكل جماعات منظمة يرأسها أمين يدعى قائد الوصفان".[109] واشتغلوا في مهن البناء والنسيج، وفي الفنون كالرقص والغناء والموسيقى..

_قبائل المخزن:

كانت قبائل المخزن حلقة وصل بين الأهالي ونظام الحكم، وقد ساعدت وبصورة كبيرة في الحفاظ على الاستقرار النسبي خاصة في المناطق الداخلية للبلاد، رغم الصراعات والأحقاد التي كانت بينهم وبين القبائل المختلفة، وخاصة إذا ما كانت العائلات المهيمنة على هذه القبائل في خلاف مع نظام البايلك أو الحكم.

قبائل المخزن هذه انعكاسا فعليا وتطبيقيا عمليا لسياسة الأتراك مع الغالبية الساحقة من السكان الأهالي، هذه السياسة التي أبرزت قبائل المخزن بالخصوص في شكل مجموعات سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية، إدارية وعسكرية، استمدت منها تماسكها.

فهذه الصبغة الخاصة التي اتصفت بها قبائل المخزن جعلتها تتميز عن بقية القبائل التي تعتمد في تدعيم كيانها، وجمع شملها على رابطة الأصل المشترك والنسب الواحد.

فقبائل المخزن بهذا المفهوم كانت عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها، مختلفة في أعراقها، فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة، ليؤلفوا جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية.

---

[109] عبد القادر (نور الدين): صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ط2، ص138.

وبفعل الانتساب والاستقرار، والنشأة على أراضي البايلك اكتسبت هذه المجموعات البشرية المعروفة بقبائل المخزن كيانا مستقلا متمايزا، ولم تعرف من أنسابها القديمة، ومواطنها الأصلية إلا ما علق بتسمياتها الجديدة كقبائل الصحاري، والغرارلة، وهاشم، والعبيد، والعثمانية"[110].

في حين اتخذت الغالبية الكبرى من قبائل المخزن تسميات محلية وألقابا خاصة بها استمدت من مواطنها الجديدة، أو اشتقتها من الوظائف التي كانت تمارسها والمهام التي كانت تقوم بها أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله، فمخزن الزواتنة عرفوا بهذا الاسم لتوطنهم على ضفتي وادي الزيتون رغم أنهم كراغلة".[111]

وعن النشأة الاجتماعية لهذه القبائل، فقد كانت هذه القبائل تمثل الشرطة الحقيقية لاستتباب نظام الحكم، وكانت تقوم بالجباية. كما تشير إلى وجود التفاوت بين هذه القبائل إذ البعض منها كانت مالكة للأراضي وأخرى معمرة لها بمعنى هناك قبائل فرضها الأتراك وأخرى فرضت نفسها في النسق الاجتماعي بفعل اجتهادها.

ونخلص في الأخير بأن قبائل المخزن كانت قبائل اصطناعية لم تكن لها مكانة تذكر في التاريخ الجزائري لو لم توجد الإدارة التركية.

_ الجواد:

كلمة جواد تشكل جزء هام من الجماعات المحلية، وتعني للعائلات النبيلة وهي مشتقة من الجواد بمعنى الحصان، إذ تستعمل العائلات الكبيرة الجواد وهو وسيلة من وسائل الحرب آنذاك تملكها العائلات المرموقة مثل عائلة المقراني بالمجانة، وبني حبيلس بجيجل وبورنان بفرجيوة... وتتمثل في العائلات الإقطاعية التي برزت نتيجة لنمط الإنتاج المعتمد على استغلال الخماسة، وتقوم هذه العائلات المهيمنة على الأراضي على فرض الجباية على مستغلي الأراضي الواقعة في مناطق نفوذها، والذي تستمده من خلال درجة علاقتها بالباي.

ويمكن التفرقة بين نمطين من الجواد المحليين:

النمط الأول: القادة البسطاء لبعض القبائل الذين يتمتعون بسيطرة نسبية على بعض المناطق وفي هذا النمط تمنح القيادة للعائلة المهيمنة المنتصرة في الصراعات دوما.

---

[110] سعيدوني (ناصر الدين): دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص98.

[111] المرجع نفسه، ص06.

النمط الثاني: تضم العائلات التي لها هيمنة واسعة على مناطق نفوذها والتي تكون قيادتها وراثية في سلالة القادة. وفي هذا النمط يكون نظام الحكم مضطرا إلى التحالف مع العائلة المسيطرة.

_ المرابطون ورجال الدين:

يقصد بالمرابط أو الولي الصالح هو الرجل المؤمن التقي المواظب على الطاعات المتقيد بأوامر الله ونواهيه.

أنّ الولي هو العارف بالله الذي تصدر عنه الكرامات، والأولياء مراتب فمنهم الأغيار والأبدال، والأوتاد والنقباء، إلى أن يصلوا إلى المرتبة العظمى، مرتبة الأقطاب و يرى المتصوفة أنه لا يخلو عصر من ولي سواء كان ظاهرا أو خفيا ويقدسونه تقديسا يكاد يصل إلى مرتبة النبوة.

الولي في مدينة الجزائر عادة ما يعرف بالمرابط"[112]، وتكاد جل المصادر الأجنبية تذكره بهذا الاسم "المرابط" (Marabout) ، وقد أعطى العديد منهم تعريفا للمرابط. ف "هايدو" يرى أن الكلمة تدل على رباط الموجود بين الإنسان وربه وهو يرى أنّ هذا النعت لا يعطى للمرابط فقط بل حتى أبنائه من بعده، وبالتالي تصبح عائلته "كلها مرابطة"، فتبنى عليهم أضرحة بعد الوفاة.

والمرابطون في مدينة الجزائر حسب "هايدو" لم يكونوا من فئة معينة بل يمكن أن يكونوا من الأهالي أو من الأتراك، وهم على العموم صفوة المجتمع من أئمة وقضاة ومعلمين، وحزابين"[113]، وهناك أشخاص أتقياء يعيشون في بيوت منعزلة أو زوايا يزورهم الأهالي خاصة النساء لطلب الشفاء، وإنجاب الأطفال وأشياء أخرى وعددهم حوالي 200 بضواحي مدينة الجزائر[114]، أما مورقان فقد سخر من المرابطين حيث يرى أنهم يلبسون ثياب رثة تثير السخرية، وهم أناس متعصبون وهم يرون أنّ أفضل الأعمال هي الصوم والإيثار والزهد"[115]

ويقول حمدان خوجة أنّ كلمة المرابط مشتقة من كلمة الربط العربية، التي تعني الالتزام والتعهد، أي أنّ المرابط يعاهد الله أن لا يتصرف إلا لما فيه خير للإنسانية و لذلك فحتى بعد موتهم يبقى هؤلاء المرابطون محل توقير دائم، و تدفن أجسامهم في قبر يحاط بتابوت يمكن أن يلجأ إليه كل مجرم،

---

[112] Pananti (Filippo), Relation d'un séjour à Alger contenant des observation sur l'état actuel de cette régence, trad, de l'anglais, paris, 1830, p 391.

[113] De Haedo (Diego) :Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de dr monnerau et A. berbrugger, présentation de Jocelyne dakhlia, éditions bouchene, 1998, p 113.

[114] Pananti (Filippo) , Op.cit, P 391.

[115] De Tassy (Laugier), Boyer de Prébendier (Pierre): Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie contenant l'origine des révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de Tunis, de tripoli et de Maroc. Traduit de l'anglais ,tome 2, Paris. MDCCVП, p 147.

حيث يصبح المكان موقرا إلى درجة أنّ الابن لا يجرأ على اقتحامه لمطاردة قاتل أبيه"[116]، وهم على العموم يأخذون هذه الصفة لأنهم من نسل بيت النبي صلى الله عليه و سلم، أو يكسبونها من تقواهم حيث ينالون عليها احترام الناس ويصبحون بالتالي مرابطين أو أولياء صالحين"[117].
إذن، المرابطون طائفة دينية، اكتسب رجالا سلطة روحية بين الناس، إما لأنهم اشتهروا بالكرامات. وإما لأنهم ينتسبون إلى من أشتهر بها من أسلافهم.

وكانت كلمة "مرابط" تطلق في بداية استعمالها بالمغرب كما في المشرق على الرجل التقي الذي يلازم الرباط في الثغور لمراقبة العدو من جهة، وللعبادة من جهة أخرى، غير أن مفهومها في المغرب تطور في عصور مختلفة، حيث صار كل من يثير إعجاب الناس لنسكه وورعه،

أو لطابع الزهد في كل ما يتصل بشؤون الدنيا ينعت بالمرابط سواء كان حيا أو ميتا" [118].

_ الحضر:

تتميز المدينة بالكثافة السكانية وازدهار العمران ولقد اشتهر سكان المدن بالصناعات الحرفية كدبغ الجلود، ضع الأحذية، السروج، صنع الأواني، والحدادة. وكان الطابع الغالب في المدن هو التجارة. وكانت تنظم أسواق في ضواحي المدن قصد التبادل ما بين النشاط الحضري والريفي المتمثّل في الزراعة وتربية المواشي. ويتشكل الحضر من" المجموعات السكانية بمدينة الجزائر والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية والتي تسبق الوجود العثماني، أي منذ بناء مدينة الجزائر من طرف بلكين بن زيري سنة 339هـ/950م إلى جانب الفارين من الاضطهاد المسيحي بعد سقوط غرناطة سنة 881هـ/1492م"[119]
كما تضم هذه الفئة العلماء، التجار، أصحاب الحرف والصنائع، الكتاب والإداريين.

---

[116] حمدان بن عثمان (خوجة): المرآة، تعريب وتحقيق الزبيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 57.

[117] Boutin (Vincent Yves): Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, pub, par Gesquer, Paris, Champion, 1927, p 137.

[118] مسعود سعيد (العيد): المجتمع الجزائري في العهد العثماني، ماجستير، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، إشراف: أحمد العقاد (صلاح الدين)، 1975، ص 309.

[119] سعيدوني (ناصر الدين)، بوعبدلي (المهدي): الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص97.

عموما الحضر يتكوّنون أيضا من:

- العنصر البربري العربي من السكان المدن القدامى.
- العنصر الأندلسي وهم الفارون من الأندلس.

نلخص مما سبق إلى وجود تفاوت اجتماعي في التركيبة الاجتماعية للسكان وصل إلى حد وجود الهيمنة ما بين الجماعات داخل النسق الاجتماعي.

تميزت الأوضاع العامة في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر بعدم الاستقرار وتوالي عدة أنماط من الحكم على السلطة، ويرجع هذا إلى طبيعة الوجود العثماني في الجزائر، فسياسة العثمانيين اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان الخاضعة مما يجعل الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا، أما في المناطق النائية فكان مجال تدخل السلطة المركزية يتضاءل نسبيا.

محاضرة 07

3_2_ انتشار حركة التأليف

بدأ التدوين التاريخي منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بوصفه اتجاها للكتابة التاريخية، وما وجد في القرن التاسع الهجري هو محصلة لإنتاج فترة امتدت طيلة ثلاثة قرون بداية من دولة الموحدين التي كانت قاعدة للإنتاج العلمي إلى عهد العثمانيين بالجزائر.

ومن أسباب انتشار حركة التأليف أو التدوين هي:

_ سقوط غرناطة عام897هـ/1492م، وما انجر عنه من تحولات سياسية واجتماعية، ليس فقط على مستوى الحوض الغربي للبحر المتوسط بل على العالم الإسلامي عموما.

_ مجيء الأتراك العثمانيين إلى الجزائر وبداية عهد جديد بقيادة البيلربايات.

_ هجرة العلماء والمؤرخين على وجه الخصوص، من الجزائر وإليها.

وقد عرفت حركة التأليف على يد مجموعة من المؤرخين وفي مقدمتهم "ابن قنفذ" الذي افتتح القرن التاسع الهجري بكتابه "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، وختمه "التنْسِي" بكتابه "نظم الدرّ والعقيان في شرف بني زيان".

والمتتبع لحركة التدوين التاريخي يلحظ بأنّ القرون الثلاثة (العاشر، الحادي عشر والثاني عشر الهجري) قد تميّزت بضعف كبير في الإنتاج الفكري والثقافي، لاسيما القرن العاشر الذي عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء وفي المؤلفات والمدونات، لذا نجد بعض المؤرخين يطلقون على العهود التي تلت القرن التاسع الهجري بعهود الانحطاط الثقافي والجمود الفكري، ويحمّلون الوجود العثماني في الجزائر تبعات هذا الانحطاط باعتباره لم يؤسّس جامعة مثل القرويين أو الأزهر أو الزيتونة وهذا ما يبررّ هجرة كثير من العلماء الجزائريين.

وفي السياق نفسه، شهدت الجزائر وبقية أجزاء المغرب الإسلامي مع مطلع القرن العاشر الهجري تحوّلات سياسية كبيرة، أدّت بدورها إلى تحوّلات ثقافية وفكرية. ليس غرضنا هو تتبّع المراحل التي مرّ بها هذا التحول السياسي ولكن حسبنا أن نشير إلى أنّ حركة التدوين التاريخي، استمرت بعلماء شابهوا كبار المفكرين والمؤرخين في التأليف منهم "أحمد المقري" و"أبو راس الناصر المعسكري" و"أبو حامد العربي المشرفي".

والجدير بالذكر أنّ الأحداث التي عرفها العالم الإسلامي عامة والجزائر خلال العهد العثماني خاصة، كالتحرشات الصليبية الأوروبية على دول العالم العربي والإسلامي (حملة نابليون على مصر، والصراع الجزائري الإسباني على مدينة وهران)، جعلت مؤرخي القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين يقتصرون في أعمالهم على التواريخ المحلية والتراجم، وظل المؤرخ الجزائري حبيس منطقته الجغرافية، كما اختلط التاريخ بالأدب، وصار معظم الذين يتناولون القضايا التاريخية يعتمدون على شروح القصائد.

ولتوضيح هذا نأخذ مثال للتوضيح عن "أبي راس الناصر"

3_2_1_ طبيعة الكتابة التاريخية عند أبي راس الناصر

هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن النصر الراشيدي المعروف بأبي راس الناصري الجليلي المعسكري، من مؤلفي القرن 19 توفي سنة 1823 له نحو الخمسين كتابا، وأهمها، عجائب

الأسفار و لطائف الأخبار، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"[120]

لمّا كان التاريخ مهما في حياة الأمم والشعوب، كان من البديهي أن يزداد الاهتمام به وبأساليب التأليف والكتابة وبمناهج الدراسة والبحث فيه، ومن ثمّ تعددت وتنوعت تلك الأساليب والمناهج. لقد أسهم في ذلك كثير من المؤرخين العرب، والمسلمين، ويعتبر الشيخ "أبو راس الناصر المعسكري" واحدا منهم، لأهمية كتاباته التاريخية وإسهاماته في حركة التدوين التاريخي.

ولد "أبو راس محمد بن أحمد بن الناصر الراشدي المعسكري" عام 1150هـ/1737م، بقلعة بني راشد، قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري.

يعدّ مولد أبي راس بمثابة إشعاع علمي ظهر بمعسكر خصوصا وبالجهة الغربية عموما، إن لم نقل للعالم العربي كله، وهو ما دفع بعض الباحثين والمؤرخين يخصصون فصولا عن سيرته الذاتية، مثل "محمد بن عبد الكريم الجزائري"، بالإضافة إلى عدة أجانب نذكر منهم الجنرال فوربيقي Gabriel-Isidor Faure-Biguet، والباحث أرنود Arnaud Marc-Antoine.

يعتبر أبو راس شخصية علمية فذة، تثير الاعتزاز لما تمتاز به من دقة وتحريات للتواريخ الهامة، لا سيما فترة التواجد العثماني بالجزائر من جهة، وصراعها مع الإسبان من جهة أخرى. تتلمذ أبو راس مثل غيره من علماء عصره على يد عدة شيوخ كان لهم الفضل الكبير في التأثير في ملكته الفكرية والمعرفية حيث أجيز وأجاز، كما كان لهم دور في بروز هذه الشخصية التي استطاعت بذكائها وكتاباتها التاريخية أن تحظى باهتمام الخلفاء في عصره والمؤرخين والباحثين من بعده.

أهم العلماء الذين تتلمذ على يديهم: والده الشيخ "أحمد بن أحمد بن الناصر"، والشيخ "عبد القادر بن عبد الله المشرفي" الذي كان يدعى بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، الشيخ "العربي بن نافلة" الذي أفنى عمره بين تلاوة القرآن ودراسة... وغيرهم من علماء العصر.

أ_ آثاره العلمية:

خلف أبو راس كتبا كثيرة في مجال التاريخ وغيره، بعضها موجود وبعضها مفقود، وقد ذُكر أنّ مجموع تآليفه بلغت نحو 50 كتابا في التفسير والتاريخ والأدب والتراجم والرحلات،

---

[120] الشيخ (أبو عمران)، سعيدوني (ناصر الدين): معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995، ص 530.

وَهناك من قال أنّ ما ألّفه بلغ نحو 63 كتابًا، ونُسب إليه 137 مصنفًا في مختلف الأغراض، بين كبير وصغير، وبين تأليف وشرح وتعليق وتلخيص، منها ما نُشر، ومنها ما زال محفوظا، ومنها ما يُعتبر في حكم المفقود.

توفي العلامة "أبي راس الناصر" يوم الخامس عشر من شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف للهجرة 1238هـ/1823م عن عمر ناهز التسعين سنة.

تاريخ الجزائر الثقافي حافل بعلماء عظماء قدموا الكثير للثقافة الجزائرية.

3_3_ الثنائية المذهبية (المالكي والحنفي)

3_3_1_ المذهب المالكي

يرجع تاريخ وجود المذهب المالكي في الجزائر إلى عهد الدولة الادريسي(172هـ/788م) حيث يعد مؤسسها ادريس الأول من أدخل المذهب المالكي إلى الجزائر. وقد روي أنه قال: نحن أحق باتباع مذهب "الامام مالك" وقراءة كتابه **"الموطأ"**

وكان علي بن زياد التونسي (توفي183هـ/799م) أول من جاء بكتاب الموطأ إلى افريقيا. ثم انتشر في كامل المغرب الربي على أيدي مجموعة من العلماء منهم "أسد بن الفرات" (توفي 213هـ/828م)، و"محمد سحنون" (توفي240هـ/854م)، وغيرهما ممن أخذ عنهما علماء الجزائر.

وقد استمر المذهب المالكي منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

وتجدر الاشارة بأنّه لم يكم لدخول العثمانيين إلى الجزائر تأثير في انتشار المدرسة المالكية. رغم أنّ العثمانيين يتبعون المذهب الحنفي.

أولا_ أشهر أعلام المالكية في الجزائر

من أكثر العلماء المالكيين شهرة ومكانة في العهد العثماني:

أ_ **أحمد البوني:** هو أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني أبو العباس، من كبار فقهاء المالكية، عالم بالحديث، ولد ببونة (عنابة) سنة 1063هـ/1653م). وكانت له مكانة عالية بين معاصريه من العلماء والحكام. تتلمذ على يديه العالم "عبد القادر الراشدي القسنطيني".

لقد ساهم الشيخ "أحمد البوني" بقليته المتفتحة على تحرير العقل وفتح باب الاجتهاد في اعطاء نفس جديد للمدرسة المالكية. ولتوضيح ذلك نسوق مثالا عن حادثة طفل توفيت أمه، وألف

أباه ألفة عميقة، وعندما طالبت به جدته لأمه وهي الحاضنة الشرعية. أبى وبكى، فأجاب الشيخ بأنّ الأب أحق بالطفل في هذه الحالة. وأضاف على ذلك بأنه ليس لجدة حق أصلا وإن كان المشهور أنّ الحضانة حق لها. وقد استدل لقوله على "الإمام خليل"، كما استدل بالعقل، وبرر "البوني" رأيه الذي أخذه من السابقين بقول القائل:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا * ويرى للأوائل التقدما

إن ذاك القديم كان جديدا * وسيبقى هذا الجديد قديما

وهنا تعبير صريح بأنّ "البوني" رفض الاعتقاد والتشبث بفكرة ما ترك الأول لآخر شيئا، وهذا كله يدل على أنّ روح الاجتهاد والحرية العقلية والتجديد ماتزال حية في المدرسة المالكية.

ألف "أحمد البوني" أكثر من أربعين كتابا أهمها "لغز السبع" الذي كان مرجعا لأهم العلماء.

ب_ عبد الكريم الفكون: هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، أصله من قسنطينة، توفي(1073هـ/1663م)

وقد عرف العالم بالاجتهاد ونبذ الجمود والتقليد. وله عدة مؤلفات منها "شرح على مختصر الأخضري في فقه العبادات على مذهب مالك"....

ت_ خليفة بن أحمد القماري: ولد الشيخ خليفة بن أحمد القماري ببلدة قار ضاحية وادي سوف، واش حياته العلمية متنقلا بين مسقط رأسه وبين بسكرة وسيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي.

من كتبه "جواهر الاكليل في نظم مختصر الشيخ خليل" وقد فرغ من تأليفه عندما أصبح طاعنا في السن.

ث_ محمد بن ميمون الجزائري: هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري، ولد بمدينة الجزائر ودرس بها وأخذ العلم عن شيوخها، كانت له ثقافة واسعة، برع في الفقه والفرائض والأدب حتى وصف بالقاضي الأديب.

ولعل التقارب الذي كان قائما بينه وبين الحاكم "محمد بكداش" مكن من دعم حضور المدرسة المالكية في الفتوى والقضاء، وتجسد هذا في توليه منصب القضاء مما مكّنه من الحضور والمشاركة في مجالس العلم والنقاشات التي كانت تجري بين كبار علماء الجزائر في ذلك الوقت بين المدرستين المالكية والحنفية.

وكتب كتابا مفيدا عن الحاكم عنونه بـ"التحفة المرضية في الدولة البكداشية".

نشير في الأخير أنّ المذهب المالكي عرف عدة شخصيات مرموقة مثل: عبدالقادر الراشدي، أُسرة قدوة ممثّلة في أبنائها سعيد ، أحمد ة، علال ومحمد.... وغيرهم من فحول العلماء والفقهاء.

3_3_2_ المذهب الحنفي

بالرغم من انتشار المذهب الحنفي في الجزائر بشكل واسع أيام العثمانيين، إلا أنّ هذا لا يعني أبدا بأن العثمانيين هم من كان لهم السبق في إدخال المذهب الحنفي إلى الجزائر، بل إنّ تاريخ ذلك يعود إلى قرون عدة إلى بداية الخلافة الاسلامية، حيث بدأ المذهب ينتشر في شرق الجزائر وتونس على ايدي ممثلي الخلافة ولاة بني الأغلب بداية من سنة 184هـ/800م، وكان أول من أظهر المذهب الحنفي وعمل على نشره هو "أبو محمد عبد الله بن عمر بن فروخ الفارسي".

لقد استمر وجوده إلى جانب المذهب المالكي والمذهب الإباضي إلى حدود القرن الخامس.

4_2_1_ أشهر أعلام الحنفية في الجزائر

من أكثر العلماء الحنفيين شهرة ومكانة في العهد العثماني: هم من أسرتي: أسرة "ابن العنابي" وأسرة "ابن علي":

أ_ **حسين بن محمد العنابي:** كان عالما واسع المعرفة بعلوم الشريعة، عد في قائمة المفتين الأحناف، سكن الجزائر وولى الفتوى فيها أربع مرات، لقب بشيخ الاسلام. وهو اللقب الذي يطلقه العثمانيون على الفتي الحنفي.

ب_**محمد بن العنابي:** هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري المشهور بالعنابي نسبة إلى عنابة، ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ/1775م، من أوائل المجددين ودعاة الاصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الاسلامي. الفقيه الحنفي القاضي أخذ من كبار فقهاء الحنفية، وقد كانت أسرته مشهود لها بالعلم والفقه. أهم كتبه "السعي المحمود" توفي سنة 1267هـ/1850م.

ويوجد عماء وفقهاء لا يقلون مكانة في الحنفية مثل: محمد بن حسين العنابي، مصطفى العنابي وكذلك باش تارزي وغيرهم... ونجد في أسرة "بن علي" ما يلي:

ت_ محمد بن علي: هو محمد بن علي بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلجة، وهو من العلماء العارفين بالفقه الحنفي. توفي سنة 1128هـ/1716م. أهم كتبه "مجمع الأنهر".

ث_ ابن علي الابن: هو محمد بن محمد بن علي بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلجة المشهور بابن علي، كان يتصف بالحفظ الغزير ورواية الحديث النبوي اضافة إلى مهارة التفسير وتأويل الآيات. تولى وظيفة الفتوى سنة 1150م. وعمل بها لمدة عشرين سنة.

عرف المذهب الحنفي علماء آخرين مثل الحسين بن محمد المازوني وغيره ....

تجدر الاشارة إلى وجود مذهب فقهي آخر في الجزائر ألا وهي: **المذهب الإباضي** الذي انتشر في غرداية وبني ميزاب في الجنوب الجزائري والذي لازال إلى يومنا هذا. وأهم اعلامه "عبد العزيز الثميني"

وننوه بأنّ **المذهب المالكي** هو المعتمد رسميا في الجزائر.

محاضرة 08

3_4_ التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منتشرا في كل القرى والمداشر، وقد اندهش الجنرال "ولسن استر هازي" حيث قال: "إن الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد أكثر من الفرنسيين الذين كانوا يقرأون ويكتبون، وأنّ 45 % من الفرنسيين كانوا أميين آنذاك. كما أنّ الجزائر احتلها جنود فرنسيون من طبقة جاهلة كل الجهل".[121]

ولقد حققت الجزائر قفزة نوعية في التعليم خلال العهد العثماني.

3_4_1_ مراحل التعليم:

من أهم مميزات الفرد أنه كائن نامي، يبدأ من لحظة خلقه إلى نهاية حياته كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: "فإن خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة من مضغة مخلقة وغير مخلقة لبنين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء وإلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا

---

[121] غيات (بوفلحة): التربية والتكوين في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 ص 22، عن: ابن شنب " النهضة في القرن 19م في: مجلة كلية الآداب، الجزائر، 1964، ص 39

ثم لتبلغوا أشدكم...."[122]. والنمو هو تغيرات تقدمية متجهة نحو تحقيق غرض ضمني هو النضج. فهو سلسلة متتابعة من التغيرات والتحولات تهدف إلى غاية واحدة هي اكتمال النضج لهذا من الضروري أن يواكب التعليم نمو الفرد.

لذا كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني مقسم إلى قسمين رئيسين وهما: التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي، كما أن التدريس كان عربيا إسلاميا يقوم على أسس دينية وأدبية والقليل من العلوم العلمية.

_ التعليم الابتدائي:

في مرحلة التعليم الابتدائي يتكوّن لدى التلميذ رصيد من الخبرات والمعلومات عن الحياة. وتتكون لديهم هذه الخبرات والمعلومات بفعل التدريب وتواتر الممارسة وتوفر عادة الإقبال والتركيز في مختلف النشاطات البيداغوجية...

وتظهر عليهم في السن المبكرة النشاط المفرط ميولات البحث ويتعلق بارتياد ما هو صعب أو ما هو خطر، كأن يريدون تسلق أشياء صعبة لا يطيقونها جهدا أو الجري بلا انقطاع ولا توقف دون أخذ الوقت اللازم من الراحة، أو الأكل أكثر من غير عادتهم وطبيعتهم، فالتدخل هنا من قبل المربي يتركز على ضرورة تهذيب هذه الميولات وتوجيهها نحو هدف تربوي سليم.

عموما كانت المدارس الابتدائية في العهد العثماني جد منتشرة إذ لا تخلو قرية أو مدينة منها، لتصل حسب بعض المصادر إلى 1000 مدرسة ابتدائية في العاصمة فقط. ولقد كانت المدرسة القرآنية هي من تتكفل بالتكوين الابتدائي، كما أن الكتاب كان هو الأساس في العملية التربوية. وعلى العموم كانت هذه الكتاب مخصصة لحفظ القرآن وتعليم مبادئ القراءة والكتابة كما أن البعض من هذه الكتاب كانت مخصصة لخدمة مذهب أو جماعة معينة" [123] وقد كانت هذه الكتاتيب ممولة من طرف الأهالي والباشوات والموظفين وفي الأغلب تكون تابعة للزوايا والجوامع.

_ التعليم الثانوي: لم يكن بمفهومنا الحالي، وقد كانت الدروس فيه متداخلة، وبعض المساجد كانت تقوم بوظيفة التعليم كاملة وبعضها من المساجد الكبرى تخصصت في الدراسات العليا نذكر مثلا: الجامع الكبير بوهران وزاوية القليعة وملیانة وجامع سيدي الأخضر بقسنطينة وسيدي عقبة ببسكرة.

---

[122] القران الكريم، سورة الحج، الآية 5.

[123] المرجع السابق، ص 6.

ويجدر الذكر أنّ التعليم كان مجانا، بل حتى أن الطالب كان يأخذ منحة مالية إلى جانب السكن والأكل.

_ **عناصر التعليم:** وتتكوّن هذه العناصر مثلها مثل أي عملية تعليمية إلى معلمين وتلاميذ وبرامج.

وقد كانت كالتالي:

أ _ **المعلمون:** وينقسم المعلمون إلى قسمين: معلمو الأرياف ومعلمو المدن ولكل صنف درجات ففي المستوى الابتدائي يكون اسمه "المؤدب" وهو الذي يرافق التلميذ حتى سن المراهقة، ثم يأتي "المعلم" الذي سيرافقه حتى سن العشرين ليصل إلى صنف "الأستاذ" أو المعلم في حالة الدراسات الأعلى. أما بالنسبة إلى معايير التوظيف فقد كان المؤدب (وهو المكلف بالمستوى الابتدائي) يتم تعيينه من طرف الأهالي مباشرة حسب تقواه وضميره الاجتماعي وصلاحه وتمكنه في العلم ولهذا كان يحق للأهالي طرده في حالة إخلاله لهذه

الشروط كما أن الأهالي هي من تتكفل بأجره على شكل هدايا أو عطايا، أما المعلم والأستاذ فيتم تنصيبه من طرف الباشا أو من خليفته ويتلقى أجرا ثابتا إلا أن المنصب ليس مستقرا فتبقى دائما أن المعايير الاجتماعية هي من تحكم على المعلم وشرط أساسي لبقائه في المنصب كما أن أجره وتمكّنه من المنصب مرتبط بسمعته وشهرته بين الناس.

_ **التلاميذ:** وينقسمون إلى قسمين من ستة إلى أربعة عشر عاما يدرسون مستوى ابتدائي، فما فوق مستوى ثانوي، كما أنه لم تكن هناك أي ضوابط لحركة التلاميذ ما عدا دور الاسرة في تكوين أبنائها وكذا سمعة المعلم في التعليم خاصة أنه في المرحلة الأولى فقد كان في الاغلب التعليم يكون امام مقر الأسرة. لكن بالنسبة إلى المستوى الثانوي فالأمر يختلف لأن التلميذ سيجبر إلى الانتقال إلى المدن وربما حتى الهجرة خارج الوطن، كما كانت الأوقاف تتكفل بالكثير من التلاميذ خاصة المستوى الثانوي. ففي قسنطينة مثلا كانت الأوقاف تصرف على 150 طالب من مجموع 700 طالب بمصروف سنوي قدره 36 فرنكا مع الإقامة في المساجد والمدارس مع الإشارة على أن هذا الامر ينطبق

على الذكور دون الاناث فقط كان تدريس الاناث خاصة في المستوى الثانوي منعدم تماما" [124] مع العلم أن قدرة الإعانة تختلف حسب الظروف.

_ **البرامج:** وقد كانت البرامج المدرسية تتمحور حول الجوانب الدينية من تعليم للقرآن والحديث والتفسير وكذا دروس في اللغة العربية والشعر والنحو وقليل من المواد العلمية مثل الحساب. وبعدها ينتقل التلميذ إلى المستوى الثانوي، وقد كانت عملية التدريس تتم بالشكل التالي: حيث كان المعلم يجلس في وسط القاعة وصدرها ممسكا في غالب الأحيان بعصا ليحفظ بها النظام ولجذب انتباه التلاميذ ويقوم بعملية الإملاء بصوت مرتفع، كما كان التلاميذ تحيط بالمؤدب على شكل نصف حلقة دائرية وفي يد كل واحد منهم لوحة خشبية للكتابة" [125] قد كان التوقيت يوميا صباحا ومساء، وتعتمد عملية الحفظ على الذاكرة أساسا وشد الحواس من حاستي السمع والنظر وكذا صناعة الخط والزخرف وتوطين التلميذ على الامتثال لمن هو أعلى رتبة وسنا" [126]

أما فيما يخص التعليم الثانوي فقد كان البرنامج يخضع لإرادة المعلم فهو الذي يحدد البرنامج ومحتواه ويحدد التوقيت حسب برنامجه الخاص. وتنقسم الدروس إلى دروس نقلية وعقلية فالأولى تشمل التفسير والحديث والفقه وكل ما هو متصل بالقرآن والحديث أما الدروس العقلية فتشمل اللغة والقواعد والفلسفة والحساب وعلم الفلك والتاريخ، لكن في كل هذا لم يكن هناك برنامج رسمي موحد إنما الأمر مرتبط باجتهاد المعلم وهو من يحدد الدروس للطلبة على شكل كتب كما أنه لم تكن هناك امتحانات فصلية أو سنوية، وكان للطلبة صلاحية اختيار معلميهم حسب شهرة الأستاذ و توجهه الديني أو العلمي". [127]

_ المراكز التعليمية:

أ – الكتاتيب:

وهي المسؤولة على المستوى الابتدائي وكانت تسمى أيضا في المناطق الريفية باسم الشريعة، وفي المدن تسمى بالمسِيْد، قد كان سبب تواجدها هو لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ

---

[124] بخوش (صبيحة): "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني"، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، في: حوليات التاريخ و الجغرافيا، العدد 2 ، 2008 ، ص 145.

[125] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 314.

[126] حلوش (عبد القادر): السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1873 -1914، رسالة ماجستير، غير المنشورة، كلية الآداب ، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985، ص 1.

[127] المرجع نفسه، ص 11.

على نظافته".[128] وتتمثل مهام هذه الكتاتيب في تحفيظ وتعليم القرآن والحساب وعدد مريديه من 15 إلى 20 طفل وتدوم مدة التدريس من 3 إلى 4 سنوات كما يمكن بقاء التلاميذ البقاء لأكثر من ذلك لمن أراد حفظ كل القرآن والانتقال إلى المستوى الثانوي.

ب – المساجد:

المسجد هو المكان المخصص أو المهيأ للصلوات الخمس، وهو مكان للعبادة، يلتقي فيه المسلمون لأداء صلواتهم، أي أنّه المكان الذي تقام فيه الصلاة مهما كان بسيطًا.

والمسجد هو أوّل مؤسسة تربوية ذات طابع شعبي، قام بإنجازها الرّسول قال صلى الله عليه وسلم في حملة تطوّعية مع صحابته الأوائل من المهاجرين والأنصار، يجتمع فيه المسلمون خمس مرّات في اليوم بصفة اختيارية سنّة ومرّة كلّ أسبوع بصفة إجبارية فرض ويتزوّدون منه بخيري الدنيا والآخرة.

ويميز المؤرخون بين المسجد الصغير والمسجد الكبير، فالأوّل لقضاء الصلوات العادية، أمّا الثاني فهو الجامع الواسع الأركان، تقام فيه صلاة الجمعة والعيدين إضافة للصلوات الخمس، وكان مركزًا للحياة الدّينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والقضائية.

وتحدّث ابن خلدون في مقدّمته عن المساجد قائلاً اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعًا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته، يضاعف فيها الثواب وتنمو بها الأجور، وأخبرنا بذلك على ألسن أنبيائه ورسله لطفًا بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم.

كما بيّن ابن تيمية – رحمه الله – الحقيقة الاجتماعية للمسجد فقال: وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمّة هي المساجد، فإنّ النّبي قال صلى الله عليه وسلم أسّس مسجده على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء، وتعريف الفرقاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما المهم من أمور دينهم ودنياهم.

والمسجد في فجر الإسلام كان جامعة شعبية للتثقيف والتهذيب، وبرلمانًا محليًا للتشاور والتفاهم ومجمّعًا للتعارف، ومعهدًا للتربية العلمية الأساسية...، وأي جامعة شعبية كالمسجد تسع الجميع تحت رحابها ؟... بل شملت كلّ ما وصل إليه العقل في الإسلام موصولاً بالعبادة، وإن ترعرعت الجامعات العريقة تحت أسقف الجوامع....

---

[128] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 137.

كان المسجد هو الساحة الطبيعية لاستقطاب الجيل، والواقع أنّ المسجد في الإسلام مؤسسة إعلامية دعائية، وعلى مرّ العصور ظلّ الحرم المقدّس منبرا إعلاميا تقليديا أقوى وأكثر أثرا من كل المنابر الإعلامية الحديثة من صحافة وإذاعة وتلفزيون... والمسجد لم يكن معبدًا لإقامة الصلوات وإلقاء الآذان فحسب بل استخدمه النّبي قال صلى الله عليه وسلم كمنبر سياسي للتلقين والتوجيه المعنوي لشحذ العزائم والحث على الوحدة لتوجيه الفتوحات...

وتعتبر المساجد من أقدم المؤسسات في الجزائر وأكثرها شرعية وانتشارا ويقول الدكتور "سعد الله" عن دورها ب: "إنها ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة إذ حوله تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب كما أنه كان الرابطة بين أهل القرية والمدينة والحي لأن الكل يشترك في بنائه " [129] وقد كان عدد المساجد كبير فمدينة الجزائر في القرن 19 كانت تظم 9 جوامع و50 مسجد كبير (جامع الخطبة) و109 مسجد، أما تلمسان فقد كان فيها 50 مسجد للخطبة منها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع محمد السنوسي والكثير من المساجد في كل المناطق . كما أن المساجد كانت مقسمة إلى المذهب الحنفي والمذهب المالكي. والملاحظ أن مساجد الحنفية كانت أنيقة وجيدة بحكم أنها كانت تابعة للعثمانيين أما المساجد التابعة للمذهب المالكي فقد كانت متواضعة والتي كانت خاصة بالأهالي. وكان لكل مسجد أوقاف خاصة به. وعدد من الموظفين للإشراف عليه، فعلى سبيل المثال كان للجامع الكبير بالعاصمة إضافة إلى المفتي والوكيل إمامان للصلوات الخمس ومساعدان للمفتي و19 أستاذ مدرس و18 مؤذن و8 حزابين لقراءة القرآن الكريم و3 وكلاء أوقاف واحد منهم نائب للمفتي الذي هو الوكيل الرئيس والثاني وكيل أوقاف الحزابين و8 منظّفين و3 موظفين للسهر على الإضافة، أما خطبة الجمعة والعيدين فيتولاها المفتي نفسه" [130].

ج _ الزوايا:

لقد بلغت الزوايا في الجزائر شهرة لا بأس بها ويتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء الوطن، وحققت نتائج إيجابية، بالدور الذي اضطلع عليه رجالاتها وما قدموه من جهود علمية وتربوية خدمة للوطن، ولا يزال دورها فعالا في الحفاظ على مقومات ووحدة الأمة الدينية والوطنية. هذه الزوايا عبارة عن مجمعات من البيت والمنازل مختلفة الأشكال، تشتمل على بيوت للصلاة

---

[129] المرجع نفسه، ص 246.

[130] المرجع نفسه، ص 259.

كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وأخرى لنيل المعرفة بأصول الدين وغيرها من الأقسام المتنوعة".[131]

وتعتبر الزوايا مركز الإشعاع العلمي ومنابع الهداية، وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة من جميع أشكال البدع والدمار وتضع الزوايا في الجزائر أولى رسائلها منذ نشأتها هو حماية الأمة من كل أنواع الطمس، وذلك من خلال قراءة القرآن وتعليمه، أين يحظى معلمه ومتعلمه الخير والإرشاد وفقا للكتاب والسنة، والوقوف أمام الزحف التنصيري- التبشيري - من خلال نشر تعاليم الإسلام وفض النزاعات القائمة بين الناس بطرق ودية وفقا لأحكام الشريعةّ".[132]

كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830، منتشرا انتشارا كبيرا يعتمد على الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، وكان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مراكز تعليمية باهرة يؤطرها أساتذة متمكنون من علوم الفلسفة، الفقه، الأدب، النحو، الطب والفلك. كما كانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد، وكانت هناك أكثر من 2000 مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، فكان الشباب المتعطش للعلم والمعرفة، فقد كانت أكبر المعاهد العلمية التربوية في مدن الجزائر منها تلمسان، مازونة، بجاية، قسنطينة وكانت هناك مدارس يُزاول فيها التعليم في المرحلتين :الثانوية والعالية.

أكد الواقع والأحداث عبر عقود من الزمن، فقد تزعمت في بداية الاحتلال المقاومة باسم الجهاد، فلما أدرك الاستعمار قوة تأثيرها في النفوس سعى إلى تحييدها أو ترويض شيوخها بشيء من الوسائل إلى أن تمكن من ص رف بعضها عن دورها الروحي والتثقيفي".[133]

وتعتبر مركز الإشعاع العلمي ومنابع الهداية، وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة من جميع أشكال البدع والدمار"[134].

وتضع الزوايا في الجزائر أولى رسائلها منذ نشأتها هو حماية الأمة من كل أنواع الطمس، وذلك من خلال قراءة القرآن وتعليمه، أين يحظى معلمه ومتعلمه الخير والإرشاد وفقا للكتاب والسنة، والوقوف أمام الزحف التنصيري، التبشيري من خلال نشر تعاليم الإسلام وف ض النزاعات القائمة بين الناس بطرق ودية وفقا لأحكام الشريعة.

---

[131] زوزو (عبد الحميد): نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830- 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص99.

[132] هلال (عمار): أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص109.

[133] تركي (رابح): التعليم القومي والشخصية الجزائرية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، 1931-1956، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص144.

[134] سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص156.

انتشرت الزوايا في الجزائر بكثرة خاصة في المناطق الريفية لفقرها في بناء مساجد كبيرة ومدارس بالإضافة إلى انتشار التيار الصوفي والتي عادة ما تكون الزوايا مقرا لها، وقد استطاعت هذه الزوايا الانتشار بقوة لما كانت تجمع بين الوظيفة الدينية والتعليمية.

وإن كانت الزوايا قد انتشرت في الكثير من المناطق إلا أن منطقة الزواوة وبجاية أصبحت أشهر المناطق المتواجد فيها حيث قد تصل إلى 50 زاوية في المنطقة الواحدة وأهمها زاوية تيزي راشد (زاوية بن اعراب) ومن اشهر علمائها محمد الفريرا المشهور بالذباح والذي تولى ولاية التيطري وكذا زاوية الشيخ محمد التواتي وعن دورها فقد "عملت على تحفيظ القرآن الكريم ونشر التعليم والإسلام في المناطق النائية وكانت ولا زالت مخازن للكتب والمخطوطات كما ساهمت في إزالة الفوارق الاجتماعية و توطيد العلاقة بين فئات المجتمع وحاربت السلطة المستبدة، فالزاوية الواحدة تضم الفقير والغني والعالم والأمي. ولكن اعتمادها على المنهج التقليدي أدى إلى الركود الفكري وشيوع الدروشة والانحرافات". [135]

د _ الرباطات:

الرباطات هي أين يرابط المجاهدون للدفاع عن الحدود وقد كانت متواجدة بشكل حصري في المناطق الحدودية إلا أنها كانت تقوم بوظيفة التعليم وعابري السبيل مثلها مثل الزوايا وكانت موجهة للجنود الاميين وكذا محاولة نشر الإسلام في مناطق خارج الحدود إلا أنها لم تكن تابعة لطريقة صوفية واحدة بل متفتحة للكثير من الطرق.

و_ المدراس:

وقد انتشرت المدارس في كل أحياء ومدن الجزائر باعتراف الفرنسيين ففي كبرى المدن مثل تلمسان اشتهرت منذ العهد الزياني ففي بداية الاستعمار كانت لتلمسان 50 مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم العالي وهما الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام، أما العاصمة فقد كانت تظم حوالي 229 مدرسة يدرس بها حوالي 5583 تلميذ أهما المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبو راس الناصري واعتبرها مركز للتعليم العالي، كما أن قسنطينة فقد كانت في عشية الاستعمار فيها حوالي 100 مدرسة ابتدائية و7 مدارس ثانوية أشهرها المدرسة الكتانية التي أنشاها صالح باي سنة 1776، وقد كان الطالب الداخلي يأخذ 6 ريالات والمدرس 30 ريالا .

---

[135] بوعزيز (يحي): " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 – 20 م" في: مجلة الثقافة، العدد 63 1989 ص 15.

كما أن المناطق الغربية أسست المدرسة المحمدية لتكون من أكبر المدارس، وتعتبر مدرسة مازونة من أقدم المدارس العهد العثماني فقد بناها محمد الشريف الأندلسي في القرن 16م .

أما بالنسبة إلى التعليم العالي فللأسف لم تعرف مؤسسات كبيرة مثل تونس والمغرب إلا أن نوعية الدروس المقدمة من جوامعها الكبيرة كانت تضاهي الزيتونة والقرويين، إلا أنه كان هناك 3 مدارس كبرى تقترب إلى مستوى التعليم العالي وهي المدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد وكذا الجامع الكبير حيث كانت من أكبر الجوامع والتي أخرجت من أكبر العلماء والمنتشرين في كل الدول العربية". [136]

3_5_ العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني

3_5_1_ العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني (العلوم الدينية)

لقد كان لعلماء الجزائر في العهد العثماني اسهام كبير في العلوم خاصة الدينية منها وكذا في مجالات الفنون والعلوم رغم أنّ الحكم العثماني لم يكن يهتم بالجانب الثقافي لإيالة الجزائر إلا أنه في نفس الوقت لم يعرقل مجهودات علماء الجزائر لم فتح لهم فضاءات أخرى في المشرق وفي إيالات أخرى.

امتلكت الجزائر في تلك الفترة بالكثير من العلماء ورجال الثقافة باختلاف العلوم والمدارس ومع أن الجانب الديني واللغوي كان هو الأبرز في فروع العلم إلا أن هذا لم يمنع ظهور علماء في مجالات وفروع أخرى:

_ العلوم اللسانية أو علوم اللغة:

لقد أسهم الجزائريون في ميدان البيان والمعاني، حيث قام عبد الله بن أبي القاسم الثعالبي بشرح قصيدة الحلي شرحا بلاغيا سماه "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي" وقام محمد بن محمد علي الجزائري بشرح الجوهر المكنون سماه "موضع السر المكنون على الجوهر المكنون" كما قد اشتهر علي بن عبد القادر المعروف بابن الأمين بتألفين الأول "رسالة في أما بعد" في حدود 1186 هجري والثاني "حاشية على مختصر السعد".

---

[136] بخوش (صبيحة): "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني"، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، في: حوليات التاريخ و الجغرافيا، العدد 2 ،2008 ، ص 141.

كما نجد في مجال العروض سعيد قدورة شرح لأبي الجيش المغربي لكتابه "الرامزة الشافية في علم العروض والقافية "وقد سماه قدورة" شرح المنظومة الخزرجية" كما يشمل النثر الأدبي المقامات والرسائل الرسمية والإخوانية والوصف والتقارير والتعازي وعقود الزواج والإجازات والشروح الأدبية والقصص والخطب التي تتميز بها الأدب الجزائري .

كما تميزت الثقافة الجزائرية بوجود أعمال حول الشروح الأدبية كشرح الأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية والأعمال الأدبية ومن ذلك نجد شرح أحمد بن سحنون الراشدي على قصيدة العقيقة لسعيد المنداسي سماه " الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة " .

والملاحظ كذلك هو ندرة النثر الادبي ورغم أن التاريخ الجزائري الثقافي غني بالحكايات والقصص التاريخية إلا أنها كانت أغلبها شفوية لم يدون منها إلا القليل فنجد مثلا محمد بن محرز الوهرامي صاحب المقامات أو المنامات غير أن موضوعاتها كانت كلها شرقية بحكم مقامه هناك، أما مقامات ابن حمادوش التي جمعها في رحلته فهي ثلاثة و الظاهر أنه كتبها في المغرب الأقصى فالأولى سماها "المقامة الهركلية" في 1156 هجري والثانية ذكر فيه متاعبه في سفره بين تيطوان ومكناس أما الثالثة فقد سماها "بالمقامة الحالية" .

وقد تباينت كتب ومؤلفات الجزائريين في العهد العثماني فمنهم من كتب في الخطابة والرسالة والشعر السياسي والشعر الشعبي لكن كان دائما ما يذوب في طي النسيان أو يذيع صيته في المشرق دون وطنه.

ـ **العلوم النقلية والشرعية:** ونقصد بها الدراسات الدينية والقراءات ورواية الحديث وفقه العبادات والمعاملات، وقد كثرت هذه الدراسات في العهد العثماني. سنحاول أن نذكر أهم المفكرين والعلماء في بعض التخصصات الفقهية:

- التفسير:

ففيه ناحيتين التدريس والتفسير فأما التفسير فنجد نحمد بن علي بهلول و ابن لؤلؤة التلمساني وأبو راس ناصر وسعيد قدورة وأحمد بن عامر ومع أنه لم نجد لبعضهم وثائق تدل على الطريقة المتبعة في التفسير إلا أن أغلبهم كان يجتمع حولهم طلبتهم فيقومون بالتفسير الشفهي والاملاء للطلبة أما التأليف في التفسير فهو قليل منهم أبو راس ناصر ومحمد الزجاي لكن للأسف لم يترك الكثير منهم مؤلفات مكتوبة إنما أغلبها كانت شفهية وتمت كتابتها من طلابهم وقد اشتهر على الجزائريين تدريس القرآن ولقد كانت منطقة الزوارة

من اشهر المناطق حفظا للقرآن لاسيما في القراءات السبع ولعل محمد بن صولة من أشهرهم في تحفيظ القرآن.

- الحديث:

ونجد من الذين برعوا في الحديث عبد الكريم الفكون وابن العنابي وعلي بن الأمين ويحي الشاوي وأحمد المقري وغيرهم كثير حيث ترك احمد المقري عدة تأليفات منها "فتح المتعال في مدح النعال"، "أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة، وقد شاع في الجزائر حفظ الحديث واسناده وقراءته وإقراؤه، كما ان ممن تركوا مؤلفات في الحديث فنجد محمد بن شقرون ابن احمد الوهراني وكذا احمد البوني واحمد بن عمار والمنور التلمساني الذي كتب "منتخب الاساسين في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد" وهو سلسلة من الإجازات والمرويات التي جمعها عنه تلميذه إبراهيمي السيالة التونسي وغيرهم كثير في مجال الحديث.

بالإضافة إلى ذلك فقد ترك علماء الجزائر عدة مؤلفات في الفتوى والوقف والفرائض وغيرها وعلم الفقه ككتاب عبد الرحمن الأخضري الذي وضع نظما "الذرة البيضاء" في خمسمائة بيت من الفرائض والحساب.

- علم الكلام:

وقد شاع بين الجزائريين في ذلك الوقت تعبير علم الكلام وعلم التوحيد على حد سواء وكانوا يعتبرونه من أهم العلوم فوضع الشيخ خليفة بن حسن القماري شرحا كبيرا على الصغرى قسمه إلى خمسة اقسام وجعل لكل قسم جزء، وقام الورتيلاني بتحشية عمل السنوسي، كما وضع السكتاني حاشية على صغرى وشرحا على وسطى السنوسي ولمحمد بن الترجمان رسالة في التوحيد سماها "الدر الثمين في تحقيق القول في صفة التكوين".

- التصوف:

التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل الناس عليه من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف واختصت هذه النوعية من العبادة بالصوفية ابتداء من القرن الثاني بعد وفاة النبي (ص) حين أقبل الناس على الدنيا، وفيما يخص الاسم هناك من يقول

أنّ اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة، لكن المرجح أنه مشتق من كلمة الصوف، وهذا لاختصاصهم بلبس الصوف لمخالفة الناس في لبس فاخر الثياب"[137].

ولقد نشأ التصوف نشأة دينية إسلامية حيث كان الرسول (ص) يتعبد منفردا في غار حراء منصرفا عن شؤون الدنيا وملهياتها، متفرغا للتأمل والعبادة مكتفيا بأدنى الاحتياجات، كما سار على نهجه الخلفاء الراشدون، اذا اتصفت حياتهم بالزهد والبعد عن الرفاهية الزائفة. وإتباع منهج الرسول (ص) في التقشف والوسطية بغية الوصول لدرجات الرقي والصفاء.

التصوف ظهر في العالم الإسلامي نتيجة الصراعات القائمة بين المذاهب والحكام المسلمين. فاعتزلت طائفة بأفكارها الفلسفية إلى التصوف بعيدا عن الصراعات. والأمور الدنيوية الزائلة مهما بلغت من الرغبات واللذات. فالتصوف نزعة بدأت في القرن الثاني الهجري كرد فعل للترف والانحراف عن المناهج الإسلامية فأصبحت بعد ذلك نظاما، واتجاها اجتماعيا، نفسيا وعقليا.

تعود أصول حركة التصوف التي ظهرت في المشرق في العهد العثماني إلى الحركة التي سبقتها بعدة قرون إذ معظم المتصوفون والزهاد ومؤسسي الطرق قد ظهروا قبل القرن العاشر. ومن روادهم الحلاج، الغزالي وابن عربي وابن الفارض وجلال الدين الرومي والحاج بكداش وعبد القادر الجيلاني.

وقد عرف "ابن خلدون" الصوفية بقوله "واصلها العكوف عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق بالخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف"[138]. ويعرفه سهل التستري البصري المتوفى سنة 283 هجري .بقوله "أصولنا الصوفية سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله(ص)، وأكل الحلال وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق" [139]

عموما ليس هناك تعريف واحد للتصوف وغالبا ما يعرفه الباحثون بأنه من الصفاء أو الصفة أو تعرف كلمة سوفيا اليونانية التي تعني الحكمة وهذا رأي بعض المستشرقين أو من الصوف وهو رأي العديد من الباحثين حيث كان الصوف اللباس الغالب على الزهاد والعباد"[140].

وتجدر الاشارة بانه شملت التأليف في التصوف المواعظ والأذكار والأوراد وغيرها من المواد الصوفية التي اعتنى بها الزهاد المتصوفة ومن اشهرهم احمد بن يوسف الملياني واحمد البوني

---

[137] ابن خلدون (عبد الرحمن): مقدمة ابن خلدون، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 518.

[138] ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص 863.

[139] مبارك بن محمد (الميلي): رسالة الشرك ومظاهره، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، 1966، ص269.

[140] فروخ (عمر): تاريخ الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1966، ص470.

ويحي الشاوي حيث ألف "النبل الرقيق" ونجد أيضا "أرجوزة" لصاحبها محمد بن عزوز البرجي، وكذا كتاب "رسالة المريد" و"المنظومة الرحمانية " لصاحبها عبد الرحمن باش تارزي.

ويرتبط مفهوم التصوف بالمرابطين أو "الأولياء فهم ولاة العالم، والحل والعقد منوط بهم وتدبير العالم موصول بهمتهم"[141].

والولي على العموم القريب من الله وأصل هذه الكلمة فعل ولى، ومعناه النصير وهو أحد أسماء الله الحسنى "الله ولي الذين آمنوا" [142]، والولي أيضا هو الصالح، الطاهر، الصديق، كما يرى المتصوفة والملاحظ أنّ انتشار الاعتقاد والتقديس للأولياء كشخصية كاريزمية يكاد يشمل كل المجتمعات إلاّ أنّ التأكيد عليها غير وارد في المخيال الإسلامي ماعدا بعض الآيات مثل: "ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[143].

الاعتقاد والإيمان بمعجزات وكرامات الأولياء، الأسياد والصالحين تؤمن بها معظم الشرائح الاجتماعية. ويتجلى هذا في عدة سلوكات منها: التبرك والدعاء والاستنجاد بهم خاصة في أوقات العجز والإحباط، والقدوم على حادث حاسم أو جديد كالزواج، الختان، الخطوبة، الاختبارات، التقدم لوظيفة ما، مقابلة ذوي النفوذ، أثناء الخوف من المستقبل والمجهول، استعادة المفقود، كشف الحقيقة، والشفاء من المرض... وتبقى هذه المعتقدات راسخة في القطاع اللاواعي للأفراد تتناقلها الأجيال وكثيرا ما تبرز في سلوكاتهم.

"الكرامة هي كرم في الخيال والانفلاتات، وسخاء في الوجدانيات لا نجدهما في عمل العقل الذي يربط الظاهرة بأسبابها فيشرح أو يعيد إلى الوحدة ما هو متكثر فتفهم، علاقاتها وطيدة مع الأخرويات، وتقوم بوظائف جعل المطلق حاضرا في الوجود العياني والماضي ماثلا في الراهن، والأمل متحققا"[144]. وعليه فالكرامة هي "الميزة الأساسية التي تحدّد التاريخ الروحي للسالك إلى الله، وتحدّد العلاقات بين ميوله داخل الذات ثم علاقاته مع طائفته"[145].

وعلى مرّ الزمن قد تزداد فعالية الكرامة لأنّها "على مرّ التاريخ كانت تزداد سلطة على الأفئدة ويشتّد ضغطها على الوعي الفردي وداخل التمثّلات الجماعية وتفرض من الداخل وبلا وعي مقولاتها ونمطها و أشكالها اللاذكائية"[146].

---

[141] بدران (إبراهيم)، الخماش (سلوى): دراسات في العقلية العربية: الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، 1979، ص 113.

[142] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 257.

[143] القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 62.

[144] زيعور (علي): الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعي في الذات العربية، دار الأندلس، بيروت، 1984، ط2، ص 85.

[145] المرجع نفسه، ص 33.

[146] المرجع نفسه، ص ص 88-89.

ومن أمثلة الكرامات إحياء الموتى، علم الغيب والكشف، كلام الجمادات والحيوانات، اختراق الزمكانية...

نستنتج ممّا سبق ذكره بأنّ هذه الاعتقادات تبقى راسخة في القطاع اللاواعي للأفراد الاجتماعيين إذ كثيرا ما تتحوّل كرامتهم إلى قصص وحكايات تتناقلها الأجيال لتشكل مع مرور الزمن جزءا أساسيا في الموروث الشعبي، وحتى وإن مات الولي تبقى ذريته تحتل مكانة مرموقة وتقديسية في وسط المجتمع.

ومنه، فالإيمان بالمعجزات والخوارق يجعل الأفراد يشعرون بالرهبة والانبهار أمام الأولياء، الأسياد والصالحين مما يثبّت لديهم شعور العجز والحاجة المستمرة لبركاتهم وعنايتهم

فالمكانة الاجتماعية التي تميز بها رجال الدين والمرابطون ترجع إلى رسوخ المعتقد الديني في المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري. ويرجع هذا إلى طريقة انتشار الدين الإسلامي حيث كان انتشاره عن طريق الحركة الصوفية وساعد في ذلك الوضعية العامة للمجتمع المغاربي من تدهور الاقتصاد وانهيار العائلات الحاكمة كالزيانيين والمرنيين، ومع تفاقم تهديدات الحملات الإسبانية والبرتغالية. وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت الحركة الصوفية مثل القادرية، الشاذلية، الرحمانية، التيجانية والسنوسية... كحركة رافضة للأوضاع، وهذا ما جعلها تظهر كقوة منظمة وحيدة قادرة على صد الهجمات. ومع انعدام الإطار الرسمي وكذا الشعبي أصبحت هذه القوة تحت سيطرة أشخاص استغلوا الحماس الشعبي والتعبئة الجماهيرية المقاوم للعدو لخدمة مصالحهم الشخصية.

وينتمي عادة مسيرو الطرق الصوفية وهم عادة شيوخ الزوايا إلى النسب الشريف. وتجدر الإشارة بين علاقة الطرفين أي الإدارة التركية ورجال الدين قد تباينت من فترة لأخرى ففي الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر كانت وطيدة لتقارب المصالح حيث كان رجال الدين يجيشون الجماهير لمساعدة الجيش التركي لمحاربة العدو المشترك المتمثل في الإسبان والغزاة الأوروبيين.

ولكن مع منتصف القرن الثامن عشر ومع بحث الإدارة التركية لمصادر تمويل جديدة وفرضها للجباية دون احتساب الزكاة، وهنا توترت العلاقة مما أدى إلى نشوء عدة ثورات شعبية قادها رجال الدين.

3_5_2_ العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني (العلوم العقلية)

أهمل علماء الجزائر في العهد العثماني العلوم العقلية رغم أنهم اهتموا بها من قبل إلا أن دخول العثمانيين جعل علماء الجزائر يميلون أكثر إلى العلوم الدينية و مع ذلك فقد كانت هناك بعض المحاولات في الكثير من العلوم سنذكر بعضها:

- الحساب:

نجد كتاب "الدرة البيضاء" لعبد الرحمن الاخضري حيث اهتم في كتابه بالحساب، كما نجد ابن حمادوش فقد اهتم بالحساب إلا أنه لم يخصه بالتأليف، إلا أن علي بن عبد القادر الجزائري كتب أرجوزة في الجبر وضعها تقريبا في 13 صفحة حول موضوع الكسور، أما بالنسبة إلى الهندسة فلا يوجد كتاب موثق حوله إلا بعض التلميحات في رحلة ابن حمادوش.

- علم الفلك:

كان هناك اهتمام بارز بعلم الفلك ويظهر ذلك في ارجوزة "النجم المبتز" لصاحبه علي بن أبي الرجال القيرواني، وكذا كتاب "منظومة بغية الكلاب في علم الاسطرلاب" للحباك وقد بقي مؤلفه مرجع متداول لفترات جد طويلة، كما نجد عبد الرحمن الأخضري الذي وضع نظاما سماه ط السراج في علم الفلك "سنة 939 هجري بالإضافة إلى عدة مؤلفات في الفلك من بينها: "أثمد البصائر في معرفة حكمة المظاهر" لعبد الله بن عزوز المراكشي وهناك مؤلفات أخرى كثيرة في الفلك.

- الطب:

رغم أن هذا العلم هو علم جامع إلا أن الملاحظ هو عدم الاهتمام به وخاصة عدم تطويره بما يجب ذلك ولربما يرجع ذلك إلى اهتمام الناس بالعلوم النقلية وايمانهم كثيرا بالقضاء والقدر واتجاه بعضهم إلى التداوي بالأعشاب والشعوذة وكتابة الحروز، ومع ذلك فلا يمنع وجود بعض المحاولات والمبادرات الطبية فنجد مثلا: عبد الرزاق بن حمادوش في كتابه "المجوهر المكنون في بحر القانون" والكتاب مرتب على أربعة كتب: السموم والعلاج منها، والثاني في الترياقات والمعاجين والكتاب الثالث في الأمراض والرابع فهو خاص بالأعشاب

والأدوية وعلى ما يبدوا فإن ابن حمادوش كانت له يد في الطب والصيدلة. كما نجد ابن عزوز المراكشي ممن اتقنوا فن الطب وعلم الكيمياء والصيدلة.

- علم المنطق:

برز فيه محمد بن يوسف ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وكذا ابن حمادوش وسعيد قدورة ونجد كذلك عبد الرحمن الاخضري والذي وضع رجزا في المنطق بلغ مائة وثلاثة وأربعون بيتا بعنوان "السلم المرونق في علم المنطق" ومع ذلك فقد بقي علم المنطق من العلوم المهملة نوعا ما وهذا راجع لعدة أسباب هي: أن الاهتمام بعلم التصوف اكبر من علم المنطق، أن علم المنطق يحتاج إلى معرفة معارف الأوائل وهذا ما لم يكن موجود في المكتبة الجزائرية آنذاك.

- التاريخ:

اقتصر على العموم على التواريخ المحلية والتراجيم والرحلات ولم نجد كتاب واحد يحكي على تاريخ الجزائر العام ، لكن نجد من جهة أخرى مساهمات في تاريخ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ألف احمد بن القاسم البوني قصائد شعر ونثر في وصف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت كسرد لتاريخه وحياته، أما في التاريخ المحلي فهناك بعض التأليفات من بينها "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب ونجد عبد القادر المشرفي الذي تعرض بالتفصيل لقبائل بن عامر مع بيان الحكم الشرعي في تعاونهم مع الإسبان.
والملاحظ أن كل العلوم بما فيها النقلية والعقلية كانت تسير وفق حال الحكم وحال الوضع السياسي والاقتصادي لكل مرحلة فالعلوم الإنسانية تراوحت بين الفصيح والملحون والتأليف لم يخرج من التقليد ماعدا البعض في مجال النحو والصرف أما العلوم النقلية فتميزت بكثرة النقول والشروح والمؤلفات الجدية كالنوازل والفتاوي إلا أن التأليف في التصوف أدى بالعلوم النقلية إلى الانحطاط خاصة في مراحله الأخيرة عندما تبادل العلماء الشتم والاتهامات لهذا نجد أن الهجرة كانت طاغية في تلك المرحلة وأن أكبر علماء الجزائر لم ينتشر صيتهم إلا لما هاجروا خاصة إلى المشرق.

محاضرة 09

3_6_ علاقة العلماء ورجال الثقافة بالسلطة العثمانية:

تجدر في البداية توضيح مفهوم العلماء ورجال الدين أو ما يسمى بالنخبة. لأنّ التغيير هو سمة ترافق المجتمعات وخاصة في بحثها عن الاستقرار والتقدم لتحسين أوضاعها الراهنة. والتغيير يتطلب انسجام جميع الأنساق الاجتماعية وتفاعلها، ويتحقق هذا بوجود محرك والذي يكون عادة النخبة:

يشير مفهوم النخبة إلى "فعل انتخب أي اختبار، والانتخاب هو الإختيار والانتقاء. فنخبة القوم تعني خيارهم"[147] ويشير أيضا إلى "أنها التي تقوم بدور الوسيط في عملية التكوين والتفكير، وتنوب عن الباقين في ذلك"[148]. فالنخبة إذن "فئة قليلة من البشر لهم قدر من السيطرة والتحكم في فئات أخرى"[149].

النخبة هدفها دائما "أن تتقدم وهي تبحث عن الحلول الصحيحة"[150] ولا يتأتى فهم ذلك إلا بتوضيح البنية الاجتماعية للنخبة وعلاقتها بالسلطة السياسية:

3_6_ 1_ البنية الاجتماعية للنخبة:

شكلت النخبة في العهد العثماني "بالجزائر طبقة مميزة، ومحترمة، موفورة الكرامة، لهذا تقرب منهم رجال السلطة وخشوا بأسهم لقوة تأثيرهم على الأهالي"[151]

وتجدر الإشارة بأن البنية الاجتماعية للنخبة تكونت من مجموعة من المرجعيات أهمها رجال الدين لأن "الطابع الغالب في ذلك العصر هو الطابع الديني العلمي، فلم يفصل بين العلم والدين لأن كلاهما يكمل الآخر، فحسب معيار العصر فالعالم الحق كان عليه أن يكون عالما وفقيها في دينه قبل دراسته

---

[147] سعادة (مولود): «النخبة والمجتمع» في: الباحث الاجتماعي، عدد 10، 2010، ص98.

[148] بشار (سعيد): قضايا إسلامية معاصرة، النخبة والإيديولوجيا والحداثة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2005، ص13.

[149] زايد (أحمد)، عروس (الزوبير): النخبة الاجتماعية – حالتا الجزائر ومصر-، العربية للطباعة والنشر، مصر،2005 ص9.

[150] بوزيدة (عبد الرحمان): « قراءة ثقافية للأزمة» في: الثقافة، عدد1، 1993، ص9.

[151] المدني (أحمد توفيق): كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص37.

أمور دنياه"[152]

لذا فكلمة علماء تعني رجال الدين بالمعنى الأدق لأن الحياة الفكرية كانت دينية صوفية في آن واحد وخاصة في العهد العثماني.

لهذا فكلمة العلماء تعني رجال الدين أو رجال الشريعة لأنها فئة تمثل أعضاء مجالس القضاء والمراكز الدينية والتعليمية ورؤساء الطرق الصوفية ونقابة الأشراف"[153].

فكان رجال الدين هم العلماء بحق، فكل محدث أو فقيه أو مفسر يعد في نظر الناس "عالما" ويلقب "بسيدي فلان" وإن جمع بين عدة علوم فهو عالم تحرير وبحر غزير"[154].

هذا وبالنظر إلى التركيبة الاجتماعية للنخبة يمكن تصنيفها إلى:

_ العلماء الموظفون والفقهاء المستقلين لا صلة لهم بالتصوف، ثم العلماء المتصوفة ثم المتصوفة دعاة العلم، والولاية المرابطين"[155].

هذا من الناحية العلمية أما من الناحية الوظيفية فهم طبقتين:

الطبقة الرسمية التي تشمل القضاة والمفاتي والمدرسين ثم الطبقة الملحقة بها من رجال الزوايا والمتصوفة وسلالة الأشراف"[156]، المنحدرة من سلالة الرسول "ص" وهم على شكل مجموعات في كل الأحياء تحت رئاسة "نقيب الشراف" وغالبا ما يكون تابعا لنقيب إسطمبول وقد تولت هذه الأخيرة وظائف دينية.

وحسب "حمدان خوجة" فقد وجد في كل مدينة نقيب للأشراف بمثابة الحاكم الثاني للمدينة، ويختار من الأسر الشريفة، وواجبه كلما حدث أمر هام أن يجتمع في بيته مع شيخ البلد وسائر الأمناء

---

[152] هلال (عمار): أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1862، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1965، ص381.

[153] Raymond (André): Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Sindbad, Paris 1985, p78

[154] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 481.

[155] ابن ميمون (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972، ص48.

[156] البوعبدلي (المهدي): « "عبد الكريم بن الفكون القسنطيني" 988 – 1073 والتعريف بكتابة منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية» في: الأصالة، عدد 13، 1973، ص18.

التابعين له من أجل اتخاذ التدابير اللازمة"[157].

نستنتج مما سبق بأن النخبة في العهد العثماني تتضمن العلماء، المرابطون، المفاتي، الأئمة، الخطباء، الوعاظ، القائمون بشؤون المساجد، خدام الأضرحة، الخوجات، والمثقفون....

3_6_ 2_ علاقة النخبة بالسلطة:

النسق الثقافي ظاهرة معقدة لا تتحرك بنجاعة أي بطريقة قادرة على إنتاج الحلول الإبداعية أو حتى على نقلها الثقافي الفعال إلا إذا أنتجت في أن واحد حسب غرامشي: المثقف المبدع، المثقف المنظم والمثقف المعلم".[158]

ولكن، وحسب الدكتور "بوزيدة عبد الرحمان": "الثقافة المكتملة والمستقلة تحتاج بالضرورة للوجود المتزامن لثلاثة نماذج ضرورية وفاعلة في آن واحد وهي: المبدع، المنظم والمعلم. وأن غياب أي نموذج منها، ولاسيما المبدع يؤدي بالضرورة إلى عطب ثقافي يمهد الطريق إلى التبعية الثقافية، ويفتح باب الاحتواء من طرف الغير"[159].

وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: ما طبيعة المثقف الجزائري إبان العهد العثماني؟. وما علاقته بالسلطة السياسية؟.

تعتبر السلطة السياسية في أي مجتمع وسيلة من وسائل عديدة للضبط الاجتماعي للأفراد، حيث يتعين على هؤلاء عدم الانحراف عما ترسمه السلطة من قوانين.

إن السلطة في المجتمع تمثل القوة الشرعية، "والمقصود بالشرعية أن تكون مدعومة من قبل معايير الجماعة أو معايير أطراف العلاقة".[160]

"تمثل السلطة القوة القدرة على تحقيق الأهداف التي يسعى إليها الناس حتى في الحالات التي تظهر فيها المقاومة من جانب أطراف أخرى، مما يدعو إلى استخدام القوة في أكثر الأحيان وتكون للحكومة سلطة عندما تستخدم صلاحيتها بطريقة قانونية وشرعية. وتستمد هذه الشرعية من قبول الناس الذين يمارس الحكم عليهم"[161]

---

[157] حمدان بن عثمان خوجة: "المرآة"، لمحة تاريخية وإحصائية لإيالة الجزائر، تحقيق وتعريب العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، 1975، ص 125.

[158] بوزيدة (عبد الرحمان): «قراءة ثقافية للأزمة» في: الثقافة، عدد1، 1993، ص19.

[159] المرجع نفسه، ص29.

[160] الجوهري (محمد): المدخل إلى علم الاجتماع، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008، ص46.

[161] غيدنر (انتوني): علم الاجتماع، تر: الصباغ (فايز)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 497.

تنحصر العلاقة بين النخبة والسلطة في اتجاهين اثنين هما:

أولا_ النخبة المؤيدة للسلطة: هي تلك الفئة التي تتمتع برضا السلطة والذي جعلها تعمل على تعظيم وتضخيم امتيازاتها وتقوية مكانتها في المجتمع، وهي الفئة التي لا تشكل عائقا أمام مصالح السلطة. إنها الفئة الحاملة للمشاريع السياسية التي تعمل على التنسيق بين المجتمع والسلطة عن طريق إقناع الأفراد بما تحتويه هذه المشاريع من إيجابيات. كما تسيطر على الكثير من المجالات الاجتماعية، السياسية والاقتصادية...وحتى التعليم "فتسعى القوة الاجتماعية التي بيدها السلطة السياسية إلى فرض نفوذها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على المؤسسات إنتاج ونشر المعرفة، لأن تلك السيطرة تحقق إدماج هذه المؤسسات في مشروع القائم وجعلها أدوات لا غنى عنها في كسب الشرعية من جهة وتزويد النظام بكفاءات ضرورية لتحقيق أهدافه في مختلف المستويات، اقتصادية، سياسية وعقيدية "[162].

ثانيا_ النخبة المعارضة للسلطة هي تلك الفئة التي تنشط وتتغذى من نقد وانتقاد السلطة عن طريق مناهضة المشاريع السياسية بمختلف توجهاتها، غايتها الوصول إلى تحقيق الأهداف المختلفة لأكبر شريحة من المجتمع التي قد لا تدلي بآرائها وهي الأغلبية الصامتة التي تفوض النخبة للتعبير عن مواقفها، وتنطلق النخبة في القيام بدورها امتثالا للديمقراطية لتمرير مشروعات مجتمع، كما أنها تنادي بإعطاء الحق لكل النخب وإعادة إدماجها وإشراكها في كل ما يخص الصالح العام أو الصالح الخاص التي تسعى له النخب المؤيدة.

وعليه، فإن العلاقة بين السلطة والنخب المتعلقة بالمجال السياسي تميل إلى التلاؤم أحيانا وإلى الصراع أحيانا أخرى، وهذا يعتمد على مخططات والأهداف التي تبنيها النخبة. عادة ما يواجه هذا النوع من النخب رفضا من قبل السلطة التي تظل تحاربه بهدف القضاء على أي خطر يهدد وجودها ويجعلها في قلق دائم مما قد ينتجه التفاف الشعب حول هذه النخب فأخطر ما ينتج في هذه الحالة الثورات بمختلف أوجهها.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: كيف كانت العلاقة بين السلطة العثمانية والنخبة؟.

---

[162] عنصر (العياشي): نحو علم اجتماع نقدي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص67.

النموذج الإيجابي: الانسجام

- أسباب الانسجام:

أ_ الهدف المشترك:

لقد كانت الجزائر على مدى التاريخ، تحارب العدو، وهذا ما تبين من خلال تضافر الأفراد في العملية الجهادية، فإذا تتبعنا مثلا مسار المقاومة التي خاضها الجزائريون ضد الوجود الإسباني نجد أن أول من عارض الاحتلال الإسباني هم النخبة المتجسدة في النسق الديني، وخاصة المرابطين منهم والمشتغلين في الزوايا، إذ الزوايا ومن خلال نشاط الطرق الدينية كانت العامل الوحيد القادر على تجنيد الأتباع وإثارة الحماس وتنظيم المقاومة.

وكانت تقوم بهذا الدور الجوهري والفعال باسم الجهاد في سبيل الله ضد التواجد الإسباني"[163]. فقد " قاد المرابطون أتباعهم للجهاد وناصروا المجاهدين وأطعموهم بزواياهم وتحالفوا مع الأمراء الرافضين للتواجد المسيحي الذي سمح بدوره للعثمانيين بكسب مجد الجهاد المقدس"[164]. أي كان جهاد العدو هدفا مشتركا بين الطرفين "ومن هذا المنطلق سعى العثمانيون للبحث عن حلفاء لهم ضمن فئات المجتمع يؤمنون أكثر بفكرتهم الجهادية، فوجدوا رجال الدين، أو العلماء"[165].

ب_ المكانة الاجتماعية للنخبة:

كانت علاقة النخبة بالنسق السياسي العثماني علاقة احترام وتبجيل، وهذا انعكاس لعلاقة العثمانيين في اسطمبول حيث كانت الإنكشارية على علاقة وطيدة بالدراويش خاصة المولوية، والبكداشية، حيث اتخذوا من الشخصيات الفذة رموزا لتحقيق النجاح فمثلا : اتخذ الإنكشارية من زعيمها "حاجي بكداش" حاميا ورمزا لهم"[166].

وهذا ما دفع بهم إلى تكرار طقوسهم الاعتقادية فلجؤوا إلى المرابطين للتبرك، وبلغ بهم الاعتقاد إلى درجة عدم ملاحقة المذنب إذا احتمى بالأولياء أو الأضرحة.

---

[163] سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (المهدي): الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 38.

[164] Boyer (Pierre) : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16éme_ 19éme siècle » IN : R.O.M.M, N°1, 1966, pp 36_37.

[165] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 191.

[166] موسى كاظم (نورس علاء): «مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية» في: المجلة التاريخية المغربية، عدد 25، 1982، ص 101.

مظاهر الانسجام:

أ_ الامتيازات:

بما أن رجال النخبة يشكلون طبقة اجتماعية فاعلة في المجتمع، فقد اهتم بهم الأتراك وقاموا بحمايتهم، ومجاملتهم، وإغرائهم، إرضائهم، استمالتهم وقدموا لهم امتيازات عدة.

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

ب_ الاحترام:

لقد أدرك العثمانيون بأن أقرب أفراد المجتمع إليهم هم رجال الدين والتصوف فاطمئنوا لهم منذ بداية تواجدهم بالجزائر، وتقربوا منهم وأظهروا لهم احتراما واضحا، وهذا باعتبارهم القوة الوحيدة التي يلجؤون إليها لإخضاع الرعية، لذا نجد أن أحد الأساليب التي اتبعها العثمانيون لإخضاع السكان هو احترامهم لرجال الدين، بعدما أدركوا مكانتهم الاجتماعية لهذا السبب عمل رجال السلطة على إظهار الاحترام لهم، فأحاطوهم بالرعاية، والاحترام ورفعوا من شأنهم في نظر المجتمع، حتى أصبحت أضرحتهم ملجأ آمن للفارين والهاربين من الأتراك.

ت_ منح المناصب:

نظرا للمكانة الاجتماعية التي حظي بها العلماء ورجال الدين عند الأتراك فقد منحت لهم مناصب معتبرة، ففي المدن عينوا قضاة وقائمين على المساجد وفي الأرياف أسندت لهم دور الوساطة بين السلطة والمجتمع المدني. ومن أمثلة المهام التي منحها تراك نذكر عائلة "الفكون" التي دعمت نفوذ الأتراك بقسنطينة، فقد حظي أفرادها بإدارة المدينة، وكذلك عائلة "آل مقران " وخاصة في صنع السفن وتوزيع الخشب.

ث_ جباية الضرائب:

قام الحكام الأتراك بتعيين ذوي النفوذ في المجتمع المدني كجباة للضرائب أو ممثلين رسميين لهم، وهذا قصد استمالتهم وخاصة المرابطين منهم كونهم كانوا معارضين لهم، مثل ما فعل الباي محمد الذباح وحتى يستميل مرابطي "أولاد سيدي علي" ذوي النفوذ الكبير ففوض لهم مهمة جمع الضرائب. نفس الأمر تم بالنسبة إلى عائلة "آل الفكون" التي كان لها حق الإشراف والمتابعة على ضرائب أسواق الخضر والفواكه. وهذا بموجب مراسيم تمنحها لهم، لمدى تأثيرهم الواسع

ونفوذهم الكبير هذه المراسيم، وكانت تجدد باستمرار حتى يضمن الحكام من خلالها الأمن في المجتمع المدني وخاصة في المناطق التي أبدت رفضها للأتراك.

إلى جانب جبايتهم للضرائب فقد أعفيوا منها، لضمان السلم الاجتماعي وللسير الحسن لجباية الضرائب. ومن الوثائق التي تثبت هذا وثيقة محررة عام 1235هـ - 1822م من طرف الداي حسين أعفى فيها بعض العلماء والمرابطين من المطالب المخزنية جاء فيها " فقد اتفق أمرنا الرشيد ... على أننا قد أنعمنا على السادات الأبرار، والعلماء الأخيار، الفقيه الأجل التقي، الأفضل، التالي كتاب الله عز وجل سيدي محمد بن زينب، وسيدي العربي، وسيدي الهواري، وسيدي عابد ، وكافة أولاد سيدي الحاج عبد الوهاب...وحررناهم، أي رفعنا رفعنا عنهم أمر المطالب المخزنية قليلها وجليلها عليهم وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم"[167].

ج_ الوساطة:

لقد اكتسى دور الوساطة الذي اسندته السلطة للنخبة وخاصة المرابطين أهمية كبرى خصوصا في المناطق البعيدة أو غير الخاضعة لهم كمنطقة القبائل وأين كان التواجد العسكري بها نادرا. هذا أدى إلى تحول نفوذهم وسلطتهم الروحية إلى سلطة سياسية ربت السلطة

المركزية. ونذكر على سبيل المثال الدور الذي لعبه مرابطوها كوسطاء بين رجال السلطة، والمتمردين سواء من حيث إرشادهم في المنطقة أو كمفاوضين في المسائل الصعبة، وأكبر عائلة مرابطية حظيت بهذا الدور هي عائلة آل مقران التي تمتعت بمكانة مرموقة لدى الأتراك، هذا بالإضافة إلى لجوء السلطة إلى النخبة في الأوقات الصعبة. وأكبر عائلة مرابطية حظيت بهذا الدور هي عائلة آل مقران التي تمتعت بمكانة مرموقة لدى الأتراك، هذا بالإضافة إلى لجوء السلطة إلى النخبة في الأوقات الصعبة من إخماد الثورات فأثناء ثورة ابن الأحرش جند أولاد مقران القبائل المجاورة كأولاد عبد الجبار وتوجه للدفاع عن بجاية ضد ابن الأحرش. أو من أجل تجنيد العامة للوقوف إلى جانبها ومآزرتها خاصة أثناء غارات العدو على السواحل. هذا وحتى يؤمن الأتراك مواقعهم على السواحل أبرموا علاقات تجارية مع القبائل. إضافة إلى دورهم في حماية الحاميات أثناء تنقلاتهم بمنطقة القبائل.

---

[167] الوثائق الأرشيفية، المكتبة الوطنية الجزائرية، قسم المخطوطات، المجموعة 3206، الملف 2، وثيقة 52، المتضمنة إعفاء بعض العلماء من المطالب المخزنية.

لم يقتصر دور رجال النخبة وخاصة المرابطين على الوساطة بين الأهالي والسلطة فقط، فأشهرهم وذوي النفوذ في المجتمع المدني أوكلت لهم مهمات سياسية خارجية، إذ كانوا يرسلون كمبعوثين ومفاوضين سياسيين في فترات الحروب أو الصراعات مثل التي حدثت بين الجزائر والمغرب أو تونس.

وتجدر الإشارة بأنه لم يستعان بالعلماء كمفاوضين فقط بل كسفراء ومبعوثين، وممثلين للسلطة فأشهر العلماء المقربين والذين نالوا شرف السفارة، الفقيه محمد ابن العنابي"[168]. الذي كلفه الداي أحمد (1805-1808) بالكتابة لباي تونس رغم وجود كتاب خاصين فيقول الزهار "أن الباشا أمر الفقيه محمد بن العنابي قاضي الحنفية أن يكتب كتابا إلى محمود باشا"[169].

نستنتج بأن دور الوساطة الذي أسند للنخبة وخاصة للمرابطين كان عبارة عن نوع من التحالف الضمني مع السلطة المركزية تتبادل فيه الخدمات مقابل رفاهيتهم المادية، بتطبيق سياسة أنت رابح وأنا رابح.

ح_ منح الأراضي:

في إطار الامتيازات التي منحت للعلماء، وبالخصوص المرابطين بالمناطق الريفية، كان الحكام يمنحون أحيانا الأراضي بدل الأجور والترضيات"[170]. وكانت هذه الأراضي تمنح عن طريق مراسيم وفرمانات يصدرها الديات والبايات مثل ما منح لآل مقران كملكيات كحبوس لها، وقد حظيت هذه الأسرة بهذا لتأثيرها الكبير على المنطقة وسيطرتها على عدة قبائل، لهذا نجد أن هذه الهبة كانت تجدد باستمرار عن طريق فرمانات إلى غاية، أضاف لها الداي مصطفى أهشي أرض أخرى ببني مسعود كما جدد بموجب هذا المرسوم للمرابط سيدي عبد القادر بن سيدي محمد أمقران الامتيازات التي كانت لوالده"[171]

---

[168] سعد الله (أبو القاسم): المفتي الجزائري إبن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775_1850)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976، ص 26.

[169] الزهار (الحاج أحمد الشريف): مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1972، ص97.

[170] سعيدوني (ناصر الدين): دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص117

[171] Boyer (Pierre) : «contribution à l'étude de la politique Religieuse Des turcs dans la régence d'Alger 16éme_19éme siècle » IN : R.O.M.M, N°1, 1966, p30.

خ_ المصاهرة:

لقد سمحت المصاهرة بين بعض الأتراك وممثلي الجماعات المحلية النافذة بالريف. خاصة العائلات الكبرى الإقطاعية والمرابطية بظهور روابط وتلاحم بين الطرفين"[172].

هذه المصاهرة سمحت للحكام ببسط نفوذ البايلك، وإحلال الأمن خاصة في المناطق التي تقطنها قبائل شديدة المراس، فهذه المصاهرة كانت وجه آخر لسياسة الحكام للتقرب من فئة من فئات المجتمع التي لها وزنها وتأثيرها على المجتمع، وهكذا وجدت عدة مصاهرات بين الحكام والعلماء من ذلك ما ذكر في سجلات المحاكم الشرعية في إحدى الوثائق التي تشير إلى زواج الداي شعبان من نفيسة بنت العلامة محمد بن عبد المؤمن"[173].

كما أن الداي حسن باشا (1791-1798) كان صهرا لباش كاتب الحاج عمر الذي عزله حفيده الداي مصطفى باشا بسبب رفض ابنة أخت الباش كاتب الزواج به"[174]. وهو نفسه الذي تزوج من أسرة ابن القاضي ليشد أزره بهذه المصاهرة"[175].

أما الداي حسين فكان متزوجا بإحدى حفيدات سيدي أحمد بن يوسف الملياني"[176]. الذي كان أول من ربط العثمانيون علاقات مباشرة معه، منذ بداية تواجدهم على السواحل الجزائرية.

وبهذا كانت المصاهرة هي إحدى مظاهر التقارب بين الحكام والعلماء، خاصة المرابطين منهم، هذه المصاهرة التي لجأ إليها الحكام من أجل كسب ولاء رجال الدين وبالتالي ضمان الأمن والاستقرار في المناطق التي لهم نفوذ عليها.

النموذج السلبي: التنافر

3_ أسباب التنافر:

أ_ السياسة الضريبية:

ابتداء من القرن الثامن عشر انتهج العثمانيون سياسة ضريبية بسبب تقهقر القرصنة الذي ترتب عنه ضعف في موارد الدولة، وبالتالي في مداخيل الخزينة. و"هذا التغيير كان نتيجة تغير الظروف الدولية وانقلاب موازين القوى، فقلت الموارد البحرية الجزائرية التي لم تجد مصدرا ثابتا

---

[172] Feraud (Charles): Histoire des villes de la Province de Constantine, Bougie, L.Arnault.sd,pp 88-89.

[173] راجع الوثائق الأرشيفية، الأرشيف الوطني الجزائري (بئر خادم)، المحاكم الشرعية، علبة 4، وثيقة 17، المتضمنة زواج الداي شعبان من نفيسة بنت العلامة محمد بن عبد المؤمن.

[174] الزهار (الحاج أحمد الشريف): مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1972، ص71.

[175] عبد القادر (نور الدين) ... مرجع سبق ذكره، ص 97.

[176] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 470.

يمول الخزينة"[177]. حيث أن القرصنة كانت تمثل نصف مداخيل الخزينة، من الغنائم والرسوم المفروضة على الدول الأوربية من أجل حق ممارسة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط"[178].

فحتى القرن الثامن عشر القوة المالية للجزائر كانت ناتجة من الغزو البحري الذي كان مفتاح التحالف المرابطي العثماني الذي بدأ يتناقص مع بداية القرن الثامن عشر، حيث بدأت السلطة تثقل كاهل السكان بالضرائب. أي كانت القوة المالية للجزائر مستمدة من القرصنة والغزو البحري، لكن لما شحت بعد ذلك بدأت السلطة تثقل كاهل السكان بالضرائب. لأنه وخلال القرن الثامن عشر "قلت غنائم البحر بحوالي مئة ألف فرنك فرنسي كما تقلص عدد السفن من 24 سفينة سنة 1724م إلى ثمانية مراكب صغيرة وغليوطتين صغيرتين عام 1788"[179].

ونتيجة لهذا التقلص والانخفاض في الموارد البحرية، توجه اهتمام الحكام نحو الداخل وذلك لتوفير احتياجاتهم المالية[180].

وطالب الدايات من البايات بمصادر بديلة، فلم يجد هؤلاء إلا مضاعفة الضرائب وإخضاع القبائل الخارجة عن سلطته، فمثلا السبب الرئيس "لتوجه الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي هو إخضاع القبائل في جهة القبلة التي لم تنلها يد السلطة، وقد أشار إلى هذا بقوله: رأى أنها ذات بلدان كثيرة، وأعراب راحلة ومقيمة غزيرة إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة ولم يكن منها للملك مصلحة ولا منفعة معينة"[181].

ومن أمثلة السياسة الجبائية المجحفة التي طبقتها السلطة:

_ ضريبة دار السلطان تسمى آنذاك ضريبة خير الدين تتراوح ما بين 150 إلى 300 ريال بوجو والتي تقدم إلى شيخ البلد عند استبدال الحامية الموجودة بالمدينة.

_ ضريبة المكوس فرضت ضريبة على التجار وعلى البضائع التي تدخل السوق.

_ ضريبة الخراج تدفع على الأراضي لغير المسلمين وقد طبقها العثمانيون بالجزائر.

_ ضريبة الحكور: حق إيجار يدفعه الفلاح مقابل استثماره لأراضي الدولة.

---

[177] سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (المهدي): الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 38.

[178] De Grammont (Henri) :Histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), Leroux, Paris, 1887, p186. De Grammont (Henri) :Histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), Leroux, Paris, 1887, p186.

[179] جوليان (شارل أندري): تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: مزالي (محمد بن سلامة)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص ص 289-290.

[180] سعيدوني (ناصر الدين): «تدعيم الحكم التركي بالجزائر» في: الأصالة، عدد 32، 1976، ص 50.

[181] ابن هطال (أحمد التلمساني): رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد (بن عبد الكريم)، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص36.

_ ضريبة اللزمة: وهي ضريبة استثنائية يدفعها الأهالي للمساهمة في نفقات الجيش في حالة الخطر.

_ ضريبة الغرامة: التي تدفعها قبائل الرعية وهي التي تسببت في تمرد القبائل.

_ ضريبة الضيفة: كانت تقدمها القبائل عند مرور المحلات على أراضيها.

_ ضريبة العوائد: والتي تقدمها قبائل الرعية مرتين في السنة.

_ ضريبة الحصة: تقدمها القبائل الرحل.

_ ضريبة عزلة زوجة الباي: يقدمها أهل التيطري لزوجة الباي المقدرة سنويا ب 170 بوجو.

هذه السياسة الضريبية التعسفية أسفرت عن استياء العامة وتذمرهم، مما أدى إلى وجود ردود أفعال شعبية كالثورات وغيرها"[182].

ب_ تطور الزاوية:

إن التطور الذي شهدته الطرق الصوفية التي فرضت نفسها على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ القرن 18م والقرن 19م على وجه الخصوص كان عاملا من عوامل تأزم العلاقة بين السلطة والعلماء، خاصة بعدما أصبحت مركزا فكريا وقوة روحية لجمع سكان الأرياف"[183].

وأمام الأوضاع المتأزمة التي مرت بها الإيالة من مجاعة أوبئة وتقهقر الاقتصاد، عملت الزوايا على مواجهة الأزمة، واستغل القائمون عليها الظروف، وتنصبوا كحاملي الراية الشرعية الاجتماعية والسياسية".[184]

هذا النفوذ الروحي وحتى السياسي الذي اكتسبه المرابطين وشيوخ الزوايا كان مدعما من طرف السلطة العثمانية، وهو ما سمح لهم بتنمية أملاكهم وظهورهم كطبقة أرستقراطية في المجتمع".[185]

حرص النظام على استمرارها مدة تزيد عن قرنين ونصف لخدمة مصالحه.

---

[182] لمزيد من التوضيح راجع:

-De Grammont (Henri) :Histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515 -1830), Leroux, Paris, 1887, p210.

- الغالي (العربي): الثورات الشعبية أثناء الحكم التركي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1988، ص 168.

[183] Saidouni (Nacer-eddine): L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830) Der el gherb el islami, Beyrouth, 2001, p396

[184] Filali (Kamel): « Sainteté maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane » In : Insaniyat, N°3, 1997, p138.

[185] الفيلالي (محمد الطاهر): نشأة المرابطين والطرق الصوفية، وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الغرافيكي، الجزائر، 1976، ص 29.

لقد تجلت الحركة الصوفية أواخر العهد العثماني في ثوب جديد حيث كانت تهدف إلى تحقيق تجانس بين القبائل التي انضمت إليها الواحدة تلو الأخرى من أجل التخلص من ثقل البايلك، وقد انضم إليها حتى المرابطون الأحرار وأصبحوا أتباعا لها لا يعملون إلا لصالحها، ولهذا فإن توسع الطريقة الصوفية لم يقتصر على عدد الأتباع بل على مذهبها وتنظيمها، وتكيفها مع الظروف"[186].

وهذا ما يفسر الالتفاف الواسع للناس حولها، فالطريقة الدرقاوية والتي كانت ممثلة ببايلك الشرق في شخص إبن الأحرش الذي استطاع أن يشكل لنفسه منطقة نفوذ واسعة نواحي جيجل، حيث التفت حوله قبائل المنطقة" [187].

كما استطاع التحكم في مصادر الضرائب بها، " ونفس الطريقة استفادت من دعم ومساندة أكبر وأهم القبائل الحربية.

وتجدر الإشارة بأن كل زاوية أو قبيلة مرابطية لم ترق إلى صف الإمارة إلا بفضل عملها الحربي لأنها كانت في بداية أمرها عبارة عن رباطات ضد الأعداء حيث قاد المرابطون الأتباع وجندوا الأهالي للجهاد وأطعموا المجاهدين في زواياهم، وبعد تقلص الجهاد رجع هؤلاء المرابطون إلى زواياهم وازدادت صلتهم بالأهالي"[188]

خاصة وأنهم اكتسبوا قوة عسكرية وتجربة حربية، حتى أصبحوا نهاية القرن18م قوة مالية وفكرية وعسكرية بإمكانها تشكيل خطر حقيقي على السلطة، وهو ما حدث سنة 1804 بقسنطينة وعام 1805 بوهران".[189]

فهذه الزوايا والطرق الصوفية وبعد دورها في نشر التعليم والإصلاح بين القبائل، بدأت في توسيع نفوذها على مناطق واسعة، حتى أصبحت عبارة عن دويلات تتمتع باستقلال ذاتي".[190]

فهذه الزوايا والطرق الصوفية وبعد دورها في نشر التعليم والإصلاح بين القبائل، بدأت في توسيع نفوذها على مناطق واسعة، حتى أصبحت عبارة عن دويلات تتمتع باستقلال ذاتي مشكلة ما يسمى "دولة داخل دولة" إذ وصل بها الحد إلى زعزعة الحكم.

فهذه الطرق الصوفية والعائلات المرابطية لم تتوقف على إلحاق الأراضي بها، والسيطرة على القبائل، بل وسعت نفوذها المحلي بمنطقة القبائل من إحدى عشرة كتلة بداية القرن 17م إلى خمسة وثلاثين نهاية الفترة العثمانية، فآل المقراني أسسوا عدة زوايا وألحقوا من القبائل على حد

---

[186] opcit, p137.

[187] Boyer (Pierre) : « Contribution a l'étude de la politique religieuse des turcs dans larégence d Alger 16 éme- 19 éme siècle» In : R.O.M.M, N°1, 1966, p41.

[188] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص2.

[189] Saidouni (Nacer-eddine): L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830),Der el gherb el islami, Beyrouth, 2001, p396.

[190] Rinn (Louis) : «Le royaume d'Alger sous les dernier Deys» In : RA, N°41, 1897, p142.

فرضوا حكمهم على خمسة وثلاثين قبيلة وسبعة وعشرين زاوية، حتى أصبحت تشكل إمارة تقع بين دار السلطان غربا، وقسنطينة شرقا والحضنة جنوبا، ووصل عدد جنودها بداية القرن 18م حوالي 8000 جندي مشاة و3000 فارس كما أن قبائل الحشم كرست جهودها الحربية لخدمة هذه العائلة".[191] التي قدمت عدة خدمات للعثمانيين، حتى أنها ساعدتهم ضد ابن الأحرش لكنها ثارت على الباي عمر آغا الذي رفض دفع الرسوم مقابل مروره على أراضيها".[192]

محاضرة 10

ت_ علاقة الحكام بالرعية:

لم يمثل الحكم العثماني كيانا متجانسا، فأغلبية السكان كانوا، مهمشين فبعض القبائل لا تربطها بالسلطة سوى دفع الضرائب التعسفية"[193]. هذه القبائل التي أطلق عليها اسم "الرعية" طبقت عليها قوانين الحرب الإسلامية التي تقع على بلد غير مسلم بعد فتحه".[194]

وهذا ما يؤكد بأنه "لا تربطهم أية صلة أو روابط بالبلد ولا عادات شعبه وهو الشيء الذي دفعهم إلى ارتكاب فضائح وممارسة الظلم والقسوة اتجاه الرعية".[195]

إذ "فهدف الدايات كان الاستبداد بالسلطة، وجمع الاموال، وليس الرقي والازدهار الحضاري"[196].

لهذا ارتكزت علاقتهم بالأهالي على أسلوب تسيير استمدوا تنظيماته الموروثة من التنظيمات العثمانية المرتكزة على:

- إقرار الأمن والهدوء والطاعة ولو باستعمال القوة.
- ضمان استخلاص الضرائب ولو بطرق تعسفية.

---

[191] Filali (Kamel): « Sainteté maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane » In : Insaniyat, N°3, 1997, pp 132-133.

[192] Kaddache (Mahfoud) : L'Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger, 1991, p172.

[193] Vatin (Jean-Claude): L'Algérie Politique, histoire et société, Arnaultn, Paris, 1974, p102.

[194] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 211.

[195] التميمي (عبد الجليل): «العرب والترك في إطارا لدولة العثمانية» في: المجلة التاريخية المغربية، عدد 17-18، 1980، ص91.

[196] الغالي (العربي): «الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الأحرش الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع القرن التاسع عشر» في: دراسات تاريخية، عدد 23-24، 1986، ص167.

- الحفاظ على وضع اقتصادي اجتماعي يضمن امتيازات الطبقة الحاكمة ونفوذ المتعاونين معها على حساب غالبية السكان"[197].

لهذا قام الحكام بإبعاد الأفراد عن أي مشاركة سياسية، مما حال دون اندماجهم السياسي وهذا قصد سيطرتهم على المناصب الحكومية وللحفاظ على استقرار الأنساق الاجتماعية.

وحتى مؤسسة الجيش لم يسمح للجزائريين بالانخراط فيها، وهو ما دفع بالقبائل المعادية إلى اعتباره جيش أجنبي"[198]. ونظرا إلى عدم دعم السلطات العثمانية من قبل الجزائريين أحاط الحكام العثمانيون أنفسهم بالحذر والحيطة خوفا من أن تنتزع السلطة منهم، فاحتكروا المناصب.

ولهذا التاريخ العثماني واجه تهما عديدة وتأتي منها تهمة "التتريك" حيث هيمنت اللغة التركية والعنصر التركي على كل الجهاز الإداري والعسكري في البلدان العربية"[199].

وبالتالي كانت سياسة العثمانيين مرتكزة على الظلم، الترويع، التنكيل، واحتقار السكان، فتميزوا بالاستبداد، القتل، تبذير الأموال وإشباع الرغبات والاهتمام بالمصالح الخاصة وإهمال شؤون الرعايا وإرغامها على الطاعة والخضوع.

ونتج عن سياستهم هذه سخط الأفراد وخاصة بعد عجزهم عن دفع الضرائب مما دفعهم إلى شن الثورات. ونسوق في هذا الإطار مثالا ذكره "أبو القاسم سعد الله" عن الداي شعبان بأنه كان يغتصب أموال الناس تعسفا، رغم أنه كان لا يتخلى عن المصحف أوقات فراغه ويصوم النوافل لذا صح عليه قول الشاعر:

ما رأينا كأمير * ظلم الناس وسبح

فهو كالجزار فينا * يذكر الله ويذبح"[200].

وتجدر الإشارة أنه وبسبب سياستهم المجحفة ضد الأهالي اتسمت العلاقة بينهما بالنفور وعدم الثقة والعداء، لأن الرعية كانت محل استغلال من طرف الحكام من دفع الضرائب والغرامات معتمدين في هذا على أسلوبين للسيطرة على الرعية حيث: عملوا على التقارب والترضية مع رجال الطرق وشيوخ الزوايا نتيجة لنفوذهم الروحي على الرعية. واعتمدوا على قبائل المخزن التي مثلت أداة بطش لأي محاولة تمرد من طرف الرعية.

ومرد هذا إلى افتقار العثمانيين بالجزائر إلى تصور واضح لسياسة تعمل على كسب السكان والاندماج معهم، لكنهم تخوفوا منهم واحتقروهم وابتعدوا عنهم وهو ما زاد حقد الرعية ضدهم،

---

[197] سعيدوني (ناصر الدين): الجزائر منطلقات وأفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص174.

[198] Kaddache (Mahfoud) : L'Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger, 1991, p 20.

[199] De Tassy (Laugier) :Histoire d'Algérie et le bombardement de cette ville en 1725 Amesterdam, S.M.E, 1816. P247.

[200] سعد الله (أبو القاسم): «من أخبار الداي شعبان» في: التاريخ، عدد8، 1980، ص116.

خاصة بعدما فرضوا عليهم الضرائب الجائرة. وهذه السياسة حالت دون تحقيق اندماجهم مع الأهالي، رغم توفر العامل الديني الذي كان يعد المحرك الأساسي في ذلك العصر.

ث_الانسحاب الإسباني من وهران عام 1792م:

لقد دخلت الجزائر في الرابطة العثمانية باسم العقيدة الإسلامية. حيث كان الجهاد البحري هو الدافع لوجودهم على شواطئ شمال إفريقيا، وكان الوجود الإسباني بالسواحل خاصة بوهران والمرسى الكبير مصدر التحالف بين العثمانيين والجزائريين"[201]. فعاملا الدين والجهاد جعل الجزائريين يقبلون تواجد العثمانيين، ليكون لهما الدور الأكبر في تدعيم فكرة التحالف حيث كانوا في نظر الناس وممثليهم العلماء حماة الدين.

خاصة وأن صراعهم مع الإسبان اتخذ صبغة دينية، هذا الأمر سمح لهم بكسب تأييد ومساعدة العلماء ولفترة طويلة"[202]. إذن العلاقة بين الطرفين "تميزت بالتحالف، لكن هذا التآزر الذي فرضته المصلحة المشتركة في السنوات الأولى تحول إلى نفور في الفترة الأخيرة، خاصة بعد انحصار الجهاد الذي عرفت على إثره العلاقات تباعدا، وهذا لاختلاف المصالح"[203].

"وباسترجاع المدينة فقد التحالف المرابطي – العثماني دعامته الأساسية والمتمثلة في عامل الجهاد ضد الإسبان، وبانتهاء هذا الخطر أصبح كل طرف ينظر إلى الآخر بعين الحذر والشك ويتحين الفرصة لإقصائه"[204].

لأنه وبعد الانسحاب النهائي للإسبان من وهران، وبتقهقر القرصنة لم يعد يشغل بال الحكام سوى ترسيخ وجودهم في داخل البلاد.

ومنه، وبعد استرجاع وهران وتحريرها تغيرت العلاقة التي استمرت إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر لأن المصلحة كانت العامل الرئيس في تحالف الطرفين.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود عناصر أخرى صبغت العلاقة السلبية بين الطرفين ومن مظاهرها النفي، السجن، وسياسة فرق تسد...

---

[201] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 141.

[202] سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (المهدي): الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 37.

[203] Boyer (Pierre) : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16éme_ 19éme siècle » IN : R.O.M.M, N°1, 1966, p 17.

[204] Merad Boudia (Abdelhamid) :La formation social algérienne précoloniale, o.p.u , Alger, 1998, p341.

بعد توجه السلطة إلى الداخل من أجل كسب الموارد الجديدة، واجهها رجال النخبة الذين لم يتوقفوا على إزعاج السلطة بحجج تاريخية دينية، كونهم حماة الإسلام مدعمين هذا بعيوب السلطة والمشاكل التي أضعفت المجتمع خاصة وأن الجهاد ضد العدو كان قد انتهى، فأصبحت الطرق الصوفية المؤسسة للإيالة سابقا منافسا غير مرغوب فيه"[205].

ولهذا اتصفت سياسة الأتراك في الفترة الأخيرة بمعاداة العلماء ومحاولة إخضاعهم لنفوذهم، وهو العامل الذي أدى إلى حدوث نوع من القطيعة بين الزوايا وأتباعها، وبين الحكام وهذا بعد فترة طويلة عرفت فيها السلطة كيف تكسب تأييد العلماء خاصة شيوخ الزوايا"[206].

وهذا ما أدى إلى انتهاج عدة طرق لإبعادهم والتخلص منهم، مثل:

- مظاهر التنافر:

أ_ القتل:

وقد كان القتل يعتمد حتى قبل حدوث القطيعة النهائية بين الحكام والعلماء، والتي كانت باسترجاع مدينة وهران، وخير مثال على هذا قتل الداي محمد بكداش للمفتي أحمد بن سيدي قدورة، وكذا المفتي الحنفي محمد بن مصطفى بن المستي فقد صودرت أملاكه وقتل هو الآخر، وهذا دون أن يتوفر سببا وجيها لقتله.

كان الحكام عندما يتخذون قرار قتل أي فقيه أو مرابط، لا تنفع معهم لا توسلات الأهالي ولا تهديدات الأتباع، كما كان حال المرابط سيدي محمد بن أحمد ابن المرابط سيدي إبراهيم الغبريني الذي وبالرغم من توسلات الأهالي وتهديدات أتباعه بالثورة إلا أن قائد شرشال أرسله إلى مدينة الجزائر حيث نفذ فيه حكم الإعدام.

هذا وأحيانا كانت معارضة العلماء للحكام تنتهي بهم في السجن أو القتل وخير مثال على هذا ما حدث للمفتي الحنفي فتح الله، الذي رفض طلب الباي أحمد شاوش القبائلي القاضي بمكاتبة الباشا بمدينة الجزائر، وإعلامه أن اغتصاب هذا الباي للحكم كان بطلب من الأهالي، لكن المفتي رفض طلبه، الأمر الذي تسبب في نفيه إلى عنابة أولا ثم أرسل الباي رجلان فقتلاه في الطريق.

---

[205] Filali (Kamel) : « Sainteté maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane » In : Insaniyat, N°3, 1997, pp 130-131

[206] سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (المهدي): الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 57.

وعرف عدد من الحكام بتنكيلهم للنخبة، وخاصة آخر بايات وهران الباي حسان فقد كان يقضي على كل من يشك فيه وقد وصل قمعه إلى درجة الفضاعة، حيث كان مثلا شنيعا في القسوة والتنكيل، فقد كان يعدم الناس بمجرد وشاية أو ادعاء عليه.

ب_ العزل:

لقد كان العزل إحدى الإجراءات التعسفية التي اتخذها الحكام للتخلص من رجال الدين خاصة ذوي الشهرة الكبيرة منهم وكان الداي يعزل العلماء من منصبهم تبعا لرأي أو شكاوي الأهالي أو بسبب فضائح مختلفة"[207]. أو عند حدوث نزاع بين العلماء وغالبا ما كان يميل للمفتي الحنفي وأحيانا يعزل الطرفين. "وقد تصدرت الوشاية أسباب العزل، مثلما حدث للمفتي سيدي محمد بن سعيد قدورة الذي عزله الداي مصطفى أهشجي عام 1090ه/ 1706م، بسبب رسالة من حساده للباشا"[208]. وكان الحكام غالبا ما يصدقون الوشاية دون البحث والتقصي عن الحقيقة.

ومثلما كانت الوشاية سببا اعتمده الحكام لعزل العلماء كان لاختلافهم حول القضايا الشرعية والتي غالبا ما تنتهي بمشاداة سببا آخر لعزلهم ، حيث يتدخل الباشا للفصل في الأمر وغالبا ما كان ينحاز إلى رأي المفتي الحنفي وخير مثال على ذلك ما حدث سنة 1706م في المجلس العلمي، حيث حدث خلاف بين المفتي المالكي أحمد بن سيدي سعيد قدورة والمفتي الحنفي محمد النيار، حول قضية سكن المرأة التي أساء إليها زوجها، فترافعا إلى الباشا الذي حضر تناظرهما مع العلماء الذين انقسموا إلى فريقين كل فريق يؤيد رأيا، وقد تغلب في النهاية فريق المفتي محمد النيار. وقام الداي بعزل المفتي المالكي أحمد بن سيدي سعيد قديورة"[209].

ولكن في غالب الحيان كان العلماء يعزلون دون أسباب مقنعة لعزلهم.

وبالتالي فإن عزل العلماء من مناصبهم غالبا ما كان يخضع لأهواء الحكام، ومن خلال تقاليد ابن المفتي، وما أورده المؤرخون نلاحظ أن بعض رجال الإفتاء من بقي في منصبه مدة طويلة ومنهم من يولى عدة مرات، وما يمكن أن نفسر به هذه الظاهرة هو عدم استقرار الدايات أنفسهم في الحكم حيث كانوا يعزلون أو يقتلون غالبا، لذا كان كل داي لا يبقى عما كان قبله، فيعزل من وجده ويعين آخر في مكانه.

---

[207] Boyer (Pierre) : La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Imp Nationale, Monaco, 1964, p78.

[208] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 393.

[209] سعد الله (أبو القاسم): تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص91.

ت_ مصادرة الأملاك:

كانت عملية المصادرة والمضايقة إحدى الأساليب التي اتبعها الحكام للبطش بالعلماء خاصة أواخر العهد العثماني، حيث نجد منهم من اتخذ من مصادرة الأملاك وسيلة إجرائية تأديبية ضد رجال الدين. فمثلا " الداي شعبان كان محبا للمال مهينا للعلماء، حيث أهان علماء قسنطينة، وصادر أملاكهم، كما أنه رفض استقبال وفد العلماء الذي أرسله باي تونس إليه من أجل الصلح، وقد قام الباشا بمصادرة سفينتهم كما أهانهم ومنعهم من الاتصال بالناس"[210]

إن الامتيازات التي كان يمنحها الحكام للعلماء وخاصة المرابطين منهم كانت أحيانا محل قلق للحكام، فبالإضافة إلى النفوذ الروحي للمرابطين في الأوساط الشعبية. يضاف إليه نفوذهم المادي والسياسي الذي منح لهم بفضل دور الوساطة، هذا الأمر أزعج الحكام وجعلهم يتخذون إجراءات ضدهم إذا رأوا في ذلك تزايد لقوتهم وخير مثال ما فعله الباي أحمد القلي مع مرابطي بن ناصر الذين لعبوا دورا بارزا في العلاقات بين تونس وقسنطينة وحتى في ربط السلطة بالأهالي، وبسبب تزايد قوتهم خشي منهم الباي فأقدم على مصادرة كل ثرواتهم.

حتى يقوض من نفوذهم، ولا يشكلون خطرا عليه، وحتى صالح باي هو الآخر ورغم إنجازاته الثقافية إلا أن سيرته تغيرت معهم وصار يظلم رجال الدين، حتى صار يظلم ناس الزاوية حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية".[211] حيث عمل على الحد من نفوذ شيوخ الطرق بالجنوب وشن حملات ضدها بجبال عمور وبلاد ميزاب، وتقرت... وهي زوايا كانت تتمتع بنفوذ كبير وسلطة تكاد تكون مطلقة.

ث_ الثورات:

لقد كان بإمكان الحكام العثمانيون التعاون مع السكان وإشراكهم في تسيير شؤون بلدهم، لكنهم انعزلوا عن القاعدة الشعبية واستغنوا عن مساعدتها حفاظا على امتيازاتهم وخوفا من سيطرة القاعدة الشعبية.

فعملوا على وضع وسطاء بينهم وبين الرعية متمثلين في العلماء خاصة منهم شيوخ الزوايا الذين كانوا في بداية الأمر وراء تعبئة الناس للجهاد ضد الخطر المسيحي الذي كان أكبر عامل وطد علاقة العثمانيين بالعلماء، لكن بزوال هذا الخطر ومع تدهور الظروف الاقتصادية للجزائر تغيرت سياسة

---

[210] سعد الله (أبو القاسم): «من أخبار الداي شعبان» في: التاريخ، عدد8، 1980، ص112.

[211] بن العنتري (محمد الصالح): فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها. (تاريخ قسنطينة)، مراجعة و تقديم و تعليق بوعزيز (يحيى)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص78

الحكام التي وجهت اهتماماتها للمناطق الداخلية من اجل إيجاد مصادر دخل بديلة عن مغانم الجهاد البحري"[212].

لكن، هذا القهر الاجتماعي الذي مارسته السلطة العثمانية وخاصة سياسة الضرائب، قوبل بثورات اجتماعية، والتي كانت أهمها الثورة الدرقاوية والتيجانية.

_ الثورة الدرقاوية بالشرق الجزائري:

يعود تأسيس الطريقة إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المولود في مراكش عام 1145ه/ 1733م، وكان ينتمي إلى قبيلة بني زروال شمال مدينة فاس، تعلم التصوف على يد الشيخ علي بن عبد الرحمان الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية. وقد أسس الشيخ محمد العربي زاويته بفاس، ثم انتشرت في شمال المغرب الأقصى وغرب الجزائر"[213]. وأهم تلك الثورات ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري بقسنطينة.

ومما ساعده على كسب تأييد هذه القبائل لدعوته استقراره بزاوية "سيدي الزيتون" ناحية جيجل التي كان يقدم فيها دروسا لتفقيه الناس ثم تأسيسه لمعهد "بني فرقان" نواحي جيجل لتلقين العلوم الدينية، وفي هذا المعهد كشف عن مشروعه الرامي إلى الثورة ضد العثمانيين حتى يخلصهم من ظلمهم، وكان هذا بعدما لمس المآزرة القوية من طرف هذه القبائل"[214].

واتصف ابن الأحرش بالحيلة والطموح وبلاغة الأسلوب وفصاحة اللسان لسانه والقدرة على الإقناع. وهذا ما أدى إلى انبهار والتفاف الناس حوله وتقديرهم له بعدما أعلن الجهاد باسم الدين ضد العثمانيين. أما ما قام به : الهجوم على قسنطينة عام 1803م. إذ لما أحس ابن الأحرش أن الظروف كانت مواتية لإعلان الثورة خاصة بعد انسحاب الحامية العسكرية من مدينة جيجل من دون ان تبدي أي مقاومة. إضافة إلى كثرة عدد انصاره. وأول ما قام به ابن الأحرش هو إخضاع مدينة القل ثم مدينة عنابة التي انسحبت منها الحامية العسكرية نحو قسنطينة بعدما علمت بعزمه على مهاجمتها. وكاد ابن الحرش أن يستولي على المدينة لولا الفوضى التي حدثت بين أنصاره الذين انشغلوا بنهب كل ما وجدوه متجاهلين نصيحة ابن الأحرش بتجنب النهب والفوضى والاكتفاء بفتح المدينة.

---

[212] الغالي (العربي): «الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك» في: دراسات تاريخية، العدد 23، 1986، ص 165.

[213] Rinn (Louis): Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie, A. Jourdan, Alger, 1884,p 75.

[214] Feraud (Charles) :« Les cherifs kabyles de1804 -1809 dans la province de Constantine » In: RA. N°13, 1869, p217.

لكن وفي هذه الظروف شرع قائد الدار والشيخ سيدي امحمد الفكون بإطلاق المدافع التي شتتت صفوف الثائرين وقدرت خسائر ابن الأحرش بحوالي مائتي رجل لهذا أمر أنصاره بإعادة الهجوم ليلا لكنه أصيب بجرح خطير مما اضطره إلى الانسحاب إلى وادي الزهور.

وبتحالف الزبوشي مع ابن الأحرش التفت القبائل أكثر حول هذا الأخير وربما يعود هذا إلى كون الزبوشي ابن المنطقة وابن الأحرش غريب عنها.

وحيكت مكيدة للباي فحوصر واشتعلت معركة واد الزهور، ولما وصل خبر محاصرة الفرقة إلى الباي سار لنجدتها، وقد ساعدته على فك الحصار عنها المدافع، رغم تعرضه لمناوشات القبائل كبني عيدون وبني مسلم... ولما أراد التراجع لم يستطيع لأن الطريق كان قد سد بالأخشاب والحواجز، مما إضطره على أن يمر بسهل واد الزهور، وهنا قام ابن الأحرش بتحويل مجرى الواد نحو معسكر الباي الذي تحول إلى مستنقع. فأمر ابن الأحرش بالنهر فسد ثم أطلق على المعسكر أول الليل فلما طلع الفجر إلا والماء قد عم السهل كله.

وبالتالي وبالرغم من الصدى الذي لقيته ثورة ابن الأحرش، والتفاف القبائل حوله إلا انه فشل في مسعاه الرامي إلى الحد من تعسف وظلم العثمانيين، رغم الأساليب التي اعتمدها لكسب القبائل بالشرق الجزائري إلا أن تبنيه للطريقة الدرقاوية لم يمكنه من إيجاد أنصار أكثر ولاء له، خاصة وأن الشرق الجزائري كان أغلب سكانه ينتمون إلى الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام العثمانيين"[215]. فلم ينضم إليه من شيوخ الزوايا والمرابطين إلا من كان معاديا للسلطة وناقما عليها مثل المرابط الزبوشي، والمرابط بن بعريش والمرابط بن بركات الذي جند القبائل المجاورة لبجاية.

_الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري:

تنسب الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري إلى "محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليتي" الذي يعود أصله إلى قبيلة "كسانة " القاطنة بوادي العبد جنوب سهل غريس. وأهم ماقام به هو معركة فرطاسة(هو مكان بين واد مينة وواد العبد جنوب مدينة غليزان) وكانت هذه الواقعة بداية للثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري بحيث لما وصل إبن الشريف إلى واد مينا أذن لأتباعه نهب أموال وممتلكات محلة الباي، والقبائل المؤيدة لها ولما بلغ الخبر الباي، جمع عسكره وعاد طالبا إياه فالتقيا

---

[215] سعيدوني (ناصر الدين): «ثورة ابن الأحرش بين التمرد الأهلي والانتفاضة الشعبية» في: الثقافة، العدد 78، 1983، ص216.

"بفرطاسة" عام 1805م، حيث اشتد القتال بينهما وهزم الداي وفرق جيشه الذي طارده الدرقاوي حتى أسوار معسكر. وعلى إثر هذه الهزيمة فر الباي مصطفى إلى معسكر ثم إلى وهران وأمر بغلق أبواب المدينة خلفه. وقد ترتب عن هذا الانتصار انضمام القبائل المترددة، كما تمكن ابن الشريف من الدخول إلى معسكر دون أية مقاومة. حيث جعل منها مقرا له ولعائلته، بعدما كاتب القبائل لتعلن الجهاد ضد العثمانيين والموالين لهم، وطلب منهم مبايعته.

ونظرا لأنه ألغى الضرائب والمكوس فقد التف واحتشد حوله الكثير من العامة، وحتى قبائل المخزن نفسها مثل قبيلة الحشم، الزمالة، الغرابة الدوابر. وأجبر الحاميات العثمانية من الانسحاب نحو المناطق الساحلية.

لكن، الباي محمد المقلش استطاع قلب الموازين لصالحه، وكان أول عمل قام به هو رفع الحصار على مدينة وهران، وإعادة الحياة لها بعدما عاش سكانها أوضاع صعبة، بعدها شرع في إخضاع البايلك ومطاردة الدرقاويين.

وقد عمد في سياسته للقضاء على إبن الشريف إلى الدهاء السياسي واستعمال كل الوسائل القمعية ضد الدرقاويين، ومصاهرة القبائل الأكثر اتصالا بهذه الثورة كقبيلة الحشم الموالية للطريقة القادرية التي كانت ترفض كل منافسة لها من الطرق الأخرى. والمعروف عنها أنها كانت موالية للعثمانيين.

ونتيجة للسياسة التي انتهجها الباي ألحق الهزائم بالدرقاويين منها الهزيمة التي منى بها الدرقاوي الذي فر من وهران نحو معسكر التي منعه أهلها من الدخول إليها فالتجأ إلى قبائل بني عامر ومجاهر وتحالف معها. واصطدم مع جيش الباي عند قرية "سيدي بن عودة" في معركة "أولاد زائر" التي راح ضحيتها عدد كبير.

وأما معركة "عين السدرة" باغريس وهي التي شاركه فيها "ابن الأحرش" حيث هزم فيها الدرقاويون بعد الإمدادات التي وصلت للجيش العثماني، كما هزموا هزيمة كبرى في معركة تافنة المعروفة "بيوم ابن الأحرش" والتي ذهب ضحيتها عديد الطلبة.

وبالرغم من الضعف الذي أصبحت تتميز به هذه الثورة منذ وصول الباي المقلش للحكم إلا أنها استمرت إلى عهد الباي "علي قارة بغلي" حيث حاول الدرقاوي مع قبيلة الأحرار في الجنوب الوهراني إثارتها ضد السلطة، بعدها رحل إلى "فقيق" بالصحراء، حيث رفضت التجانية استقباله لأسباب مجهولة، وفي عهد الباي "بوكابوس" وبعد عدة محاولات فاشلة انسحب الدرقاوي إلى بني سناسن والتحق بصهره "أبو ترفاس" وهناك مات بالوباء سنة 1809م.

3_7_ رأي الكتابات التاريخية في السلطة العثمانية بالجزائر

عبر "محمد الشريف ساحلي" بأن فرحة الفرنسيين كانت عارمة بسقوط مدينة الجزائر بين أيديهم وأول شيء قامت به الحكومة أو بالأحرى الاستعمار الفرنسي هو الاعتداء وإهانة الشعب الجزائري"[216]. لأنه يرى بأن "الجزائر هي بلد البربر المتوحش ولهذا على الفرنسيين الاستيلاء واستغلال ثروات هذا البلد"[217]. لهذا قابل المجتمع الجزائري فرنسا -كغيرها- بالمقاومات والثورات الشعبية إلى أن تحرر سياسيا. لكن، التحرر السياسي لم يتزامن والتحرر الثقافي، وهذا ما دفع بالمثقفين إلى الدعوة لإنجاح المشروع الثقافي، والذي لا يتأتى إلا بتحرير التاريخ من المرجعيات الخاطئة، وهذا ما حلّله "ساحلي" في كتابه: "تحرير التاريخ" إذ عبر في هذا الكتاب عن مخطط العلاقات الأوروافريقية الذي كانت ولا تزال تنشده الدول المتقدمة. لأن العلاقات لا تبنى إلا في إطار المصلحة مهما كان نوعها، فإذا حرر التاريخ (كتابة وقراءة) تم فهم المجتمعات لذاتها وللآخر.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: ترى كيف كتب تاريخ التواجد العثماني بالجزائر؟.

أ - النموذج الايجابي:

يمثّل هذا النموذج مجموعة من الفاعلين، أهمهم: أبو راس الناصري، عبد القادر المشرفي، أحمد ابن سحنون الراشدي، محمد بن ميمون الجزائري، ابن هطال التلمساني، حمدان بن عثمان خوجة...

تمثّلت نظرة الفاعلين إلى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، وخاصة في مرحلة التحرير الكامل للمناطق المحتلة (1207-1792) بالإيجاب، ويرجع هذا إلى عدة أسباب أهمها وكما قال "حمدان خوجة" وهو ممن عاصروا السنوات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر "أما عن حكومة الأتراك، فإن هؤلاء السكان عندما رؤوا أنّ القائد المسلم جاء لنجدة الأندلسيين، ولمنع الإسبانيين من أن يقتلوهم أو يغرقوهم، استقبلوه بالعرفان والحماس وعيّنوا له القصبة ليتخذها مقرا، وبعد حين من ذلك تكوّنت في مدينة الجزائر حكومة قائمة على مبادئ معتدلة..."[218].

---

[216] Sahli (mohamed cherif) :Décoloniser l'histoire, l'Algérie accuse le complot contre les peuples Africaines, entreprise Algérienne de presse, Alger, 1986, p76.

[217] Ibid, même page.

[218] حمدان خوجة (بن عثمان): المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: الزبيري (محمد العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص ص 108-109.

_ علاقة السلطة مع الفاعلين الاجتماعيين:

الفاعلون الاجتماعيون كالعلماء، وشيوخ الصوفية، وشيوخ القبائل...يؤدون دورا جوهريا في تحديد العلاقة بين السلطة الحاكمة والسكان، إذ كانوا يتوسطون في حل الأزمات بين الطرفين، ويشاركون في تفعيل وتطوير المجتمع، ويمكن تحليل ذلك عن طريق تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية، ومختلف الأفعال التي قامت بها السلطة الحاكمة العثمانية:

_ علاقة السلطة مع المرابطين والصوفية:

إنّ نظرة الدين والمسلمين كان هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في المغرب الإسلامي، فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوربا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر والمغرب الإسلامي عموما والأندلس، لما كان هناك مبرّر لتدخل العثماني، فقد كانوا مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية، وكانوا بالطبع يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيدين، فوجدوهم في رجال الدّين، وخصوصًا المرابطين"[219].

لقد منحت السلطة الحاكمة مكانة اجتماعية جد رفيعة للمرابطين ورجال الصوفية، وهذا ما أكده "حمدان خوجة" قائلا: "لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، وإنما صاروا يقدّمون لهم أكبر الامتيازات، وأثمنها، وصارت أماكن سكناهم، وضرائحهم، بعد الموت، مقدّسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها "[220].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان المرابطون يمدحون رجالات السلطة، وكمثال عن ذلك نذكر ما قاله العالم أبو زيد محمد بن عبد الرحمان الشهير بالقرومي مخاطبا ومادحا سياسة الداي محمد بكداش قبل فتحه لمدينة وهران "الأمير الذي شهدت بإمامته أبرار الرجال، ووجبت بيعته وطاعته علينا في جميع الأحوال، فقمنا لله في نصحه بالدعاء له بالنصح والرشد في الأفعال، إمام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين، في أحكام الله وتعظيم شعائره السيد محمد داي".[221] لقد شملت نظرة الإعجاب والمحبة، كل المرابطين وخاصة وأن السلطة الحاكمة كانت تبادلهم هذه المشاعر بمنحهم الامتيازات وكمثال عن ذلك ما حظيت به أسرة الفكون في قسنطينة، وإن كانت أسرة علم فهي أسرة

---

[219] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص460.

[220] حمدان خوجة (بن عثمان... مرجع سبق ذكره، ص ص 110-111.

[221] بن ميمون الجزائري (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: بن عبد الكريم (محمد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط 2، 1981، ص 229.

تصوف، نال به الفكون التكريم بإمارة ركب الحجيج لانتسابه إلى الطريقة الصوفية الزروقية "[222].
وتجدر الاشارة بأن صاحب الطريقة الزروقية سيدي أحمد زروق هو من فاس بالمغرب ودفين ليبيا، وقد أثرت طريقته في كافة بلدان المغرب العربي.

_ علاقة السلطة مع العلماء:

لقد كان العلماء يمثّلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني، فهم رغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس في الدروس ومجالس الفتوى والقضاء وخطب الجمعة ونحو ذلك، وكان الناس يثقون في رجال الدين أكثر مما يثقون في رجال السياسة والحرب، ولهذه المكانة التي كانت للعلماء كان العثمانيون يقدرونهم ويخشونهم في ذات الوقت ويتقربون منهم ويطرونهم ويمنحونهم الهدايا، وكانوا أحيانا يلجؤون إليهم في موقف تأييد أو غير ذلك، كما أن العلماء كانوا في حاجة إلى البشاوات والبايات طمعا في مال أو وظيفة، وقد اشتهر بعض الباشوات بتقريبهم للعلماء ومراعاتهم، إما حبا في الدين والعلم وإما طمعا في تأييدهم، وإما حبا في المدح والثناء، وكان عدد هؤلاء الباشوات قليلا، ومن هؤلاء القلة يوسف باشا ومحمد بكداش"[223]. إذن، بدأت العلاقة بين الطرفين في التنامي منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدام العثمانيين أرض الجزائر، نظرا للمصالح المشتركة بينهما. وهذا ما أكده "العنتري محمد الصالح " في تحليله لطريقة دخول الأتراك قسنطينة، وكيف كانت من غير حرب، مبرزا الدور الذي لعبه الشيخ" ابن الفكون" في تسكين روع السكان وطمأنتهم إذ خاطبهم قائلا: "هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني، إذ لا يليق بنا مقاتلتهم ولا يسعنا منعه، فعند ذلك انقاد الناس واتفقوا، وفتحوا أبواب البلاد، هذا الوقت دخلوا الترك في قسنطينة، وتكلموا مع ناسها. فحينئذ تأنسوا بكلامهم، واطمأنوا لجانبهم...

كما استعرض في نفس السياق الرسالة التي تقدم بها باشا الجزائر إلى "ابن الفكون" والتي جاء فيها: سيدي الشيخ بن الفكون أما بعد: السلام عليكم...فقد بلغنا أنك سِرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد، والرأي الصائب الرشيد، فجزاك الله بأحسن الجزاء، وضاعف لك الخير والثناء وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا، ثم نلتمس منكم دعاء الخير في كل خطب، وزمان كل ركب"[224].

وفي نفس الإطار نوضح علاقة الطرفين في إخماد الثورات، ونذكر ما وقع على سبيل المثال في فترة حكم الباشا أبو جمال يوسف (1640- 1642) وردا على ثورة ابن الصخري في شرق البلاد

---

[222] سعد الله (أبو القاسم): شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص ص 225-226.

[223] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص ص411-412.

[224] العنتري (محمد الصالح): فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق: بوعزيز (يحي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991، ص ص 45-46 بتصرف

(وخاصة عنابة وضواحيها) إذ راسل الحاكم العالم الفقيه محمد ساسي البوني من أجل التدخل الروحي وإخماد الثورة، فتدخل هذا الأخير لصالح الحاكم"[225].

ولتأكيد الرأي الإيجابي للفاعلين تجاه العثمانيين نذكر ما قاله الفقيه "ابن العنابي" عن الدور الفعال الذي قاموا به للحفاظ على الدين الإسلامي "ولولا ظهور الدولة العثمانية أعلى الله مقامها، ورفع بالتأييد والنصر أعلامها فجدد القائمون بأعبائها معالم الدين، وأحيوا ما ندرس من شريعة سيد المرسلين، لاتسع الخرق، وعم الفساد سائر الخلق"[226]. وفي آن واحد يذكرهم بزوال الملك إذا ما انحرفوا "إن قسوة القلب على الضعفاء، والجور في الأحكام الشرعية، ومنع الحقوق من مستحقيها، والإيثار بها لمن لا يستحق، من أسباب خراب الملك وزوال الدولة "[227].

_ دلالات أفعال السلطة بالنسبة إلى الفاعلين الاجتماعيين:

_ تحرير المناطق:

اتسم العثمانيون في الجزائر بالجهاد منذ وجودهم في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فانجدوا مسلمي الأندلس، بنقلهم إلى البلاد المغاربية التي لم تسلم هي الأخرى من هجمات الإسبان، وتعاونوا مع المسلمين في الجزائر على تحرير المناطق المحتلة.

وقد مدح الفاعلون الاجتماعيون العثمانيين، ونذكر في هذا الإطار بعض الأمثلة:

أثنى "أبو راس الناصري" على خير الدين بربروس وعدد خصاله الجهادية بقوله: "دخلها ملوك الأتراك، وأول من ملك بها منهم، مشهور السيادة ...السلطان حسن خير الدين، فهو سبب سعادتهم وانتشار صيتهم، فكان وجهه للصباحة، ولسانه للفصاحة، ويده للمسامحة وعقله للرجاحة، كان قبل حلوله بالجزائر طبق أرض الكفرة بالغزوات، وكثر لديه الفتوحات، وامتدت له سعادة الحياة"[228].

كذلك نجد شعراء آخرين مدحوه مثل "محمد بن موسى" الذي مدح الباشا حسن بن خير الدين لما حققه من انتصار على النصارى، ومشيدا بفتوحاته.

---

[225] لمزيد من التوضيح حول مراسلة الطرفين، راجع:
رسالة الباشا أبو جمال يوسف إلى الشيخ محمد ساسي البوني ورد هذا الأخير على الباشا في: مجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2642، ص 56-57.

[226] سعد الله (أبو القاسم): المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775-1850)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976، ص 75.

[227] المرجع نفسه، ص 74.

[228] قنان (جمال): نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 43. بتصرف. عن: إحدى عشرة ورقة مخطوط بالمكتبة الوطنية باريس، رقم 5519.

وأكثر الحكام الذي حضي بالمدح هو: محمد بكداش باشا (1707- 1710) ويجع هذا إلى "أنه وجه كل عنايته لاسترجاع وهران من الإسبان، وأعانه في ذلك مصطفى بوشلاغم باي الغرب الجزائري ، فأرسل بكداش صهره أوزن حسان على رأس قوة كبيرة إلى وهران، فعاد منها منتصرا بفتحها يقود معه الأسرى الإسبان وغنائم لا تحصى، ووقعت في الجزائر أفراح ارتج لها القاصي والداني، وذاع صيت النصر في كل مكان، وذاع معه اسم بكداش"[229]. ووصفه ابن سحنون مبرزا خصاله الجهادية "بكداش هو الإمام العلامة الناظم الثائر مقيم رسم الجهاد الدائر، إذ هو الذي أخذت وهران في أيامه بأمره على يد أميره السيد مصطفى بيك المشهور بأبي شلاغم، فكان لا ينفق على الجهاد إلا من خاص ماله دون مستعين إلا بخالقه تعالى، وقد أنفق عليه مالا يحصى له عدد ولا تسمح به نفس سواه أبدا"[230].

ويقول "ابن ميمون" مشيدا بجهود الباشا المذكور قائلا: "فلما صار، الأمر لمولانا بكداش لم يقدم شيئا على الإعداد بجهاد الكفرة الأوباش، فجمع من جيش العسكر المنصور، وأمر عليهم السيد حسن، نصره الله وأيده، وخلد ملكه وأيده، ثم قام المولى في عساكره المنصورة بالله وقال هذا خليفتي عليكم في حال، تخيرته للنيابة عني في تدبيركم، وقد أمرته أن يكون لناشيئكم أبا، ولكهلكم أخا، ولذي التقويس والكبر ابنا، ما أعنتموه على هذا المراد ولزوم الانقياد، فقالوا كلهم: أي نعم، لله دره من خليفة وأنعم ...ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور، ورياح النصر تضرب اللواء المنشور، ولم يزل يجد سيره في حفظ الله إلى أن نزل بالمحلات، وطاول المدلات، فطارت نفس الكافر في أثناء منازلتهم جزعا ونغصت عليه منيته، وجاءته منيته ...فخر جميعهم من عرشهم، وعرضوا التراب من فرهم، فتبارك من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد"[231].

أمّا "عبد القادر المشرفي" فقد نوّه بجهود مصطفى بوشلاغم، وأشاد بحماسته الجهادية ورباطة جأشه لمواجهة الإسبان من أجل تحرير وهران، وأشار إلى هذا الفتح بقوله: "والحال أن باي الإيالة الغربية الجامع بين إيالة مازونة وتلمسان السيد مصطفى أبو شلاغم بن يوسف المسراتي كان رابطا على وهران ملازما لجهاد النصارى، رائما فتحها وصابرا

---

[229] بن ميمون الجزائري (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: بن عبد الكريم (محمد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981، ص ص 262-263.

[230] بن سحنون (الراشدي أحمد): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: البوعبدلي (المهدي)، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 109.

[231] المرجع السابق، ص ص 210-211.

على بلائها ... فأمدّه الباشا السيد محمد بكداش بالجيش العظيم برا وبحرا، لنظر صهره ووزيره السيد اوزن حسن واجتمع الجيش العظيم بساحتها و ضايقوا من بها"[232].

هذه الأفعال الجهادية طبعت سيرة بعض الحكام العثمانيين وكانت محل مدح واستحسان من الكتابات التاريخية وخاصة في فترة التحرير، ففي عهد الداي محمد عثمان (1766-1791) واجهت الجزائر غارة دانماركية وأفشلتها، فطلبت الدانمارك الصلح من الجزائر ورضخت لشروطها، وقد أشادت الكتابات التاريخية بهذا الحدث، ومنها أنشودة المائة بيت الشعبية للشاعر "ولد عمر". وكذلك في عهد الداي عثمان وقعت للجزائر حملة عسكرية اسبانية منيت بالهزيمة، وخلد تفاصيلها "ابن سحنون" مركزا على دور الداي في تحقيق النصر.

وفي فترة حسان باشا (1791-1798) فقد شهدت أعظم فتح وهو فتح وهران الذي تم على يد الباي محمد بن عثمان سنة 1792م وأعطاه الباشا لقب "محمد الكبير" إثر ذلك. وقد خلّد العلماء، الشعراء والكتاب هذا الفتح بكتابتهم المختلفة. ومن ذلك أيضا ما ذكره "أبو راس الناصري" و"ابن هطال التلمساني" وهذا الأخير أبرز الإصرار الشديد لباي الغرب على تحرير مدينة وهران من الإسبان.

_ إحقاق العدل:

كان للكتابات التاريخية نظرتها الايجابية إلى جهود الحكام العثمانيين في الجزائر وخاصة فيما يتعلق بإحقاق العدل، وهذا ما عبّر عنه "حمدان خوجة" بأنه "كان قادة الحاميات الشيوخ يقولون لجنودهم إننا لم نخضع هذا الشعب بحد السيف ولم نمتلك البلاد بالقوة، وإنما أصبحنا سادة بالعدل والإحسان، وفي بلداننا قادة، وإنما حصلنا على مناصبنا في هذا القطر ولذلك فهو وطننا وواجبنا أن نجتهد للمساهمة في إسعاد السكان كما لو كنا نعمل من أجل أنفسنا "[233]. نفهم من هذا بأن القادة يغرسون في جنودهم وجوب تطبيق العدل كونه أساس قيام العلاقات السليمة. وهو ما ذهب إليه "أحمد بوضربة" حين أوضح بعض المواصفات التي ينبغي مرعاتها في التعامل مع السكان، والتي ساهمت في طول بقاء العثمانيين بالجزائر، ونلتمس منها إشادة وتنويها غير صريح بالسياسة التي انتهجها العثمانيون في تعاملهم مع السكان وأعطت ثمارها : "وإذا أردتم دفع الحضارة إلى الداخل فلديكم وسيلة واحدة هي: الصبر، والوفاء، والالتزام بالعهود، والعدل والإنصاف والاعتدال، وبالتالي جميع الصفات التي يتحلى بها الإنسان النزيه، وإذا أردتم أن تفعلوا غير ذلك، فلن

---

[232] المشرفي (عبد القادر): بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم : بن عبد الكريم (محمد)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دت، ص ص 38-39.

[233] حمدان خوجة (بن عثمان) ... مرجع سبق ذكره، ص 110.

يكون النجاح حليفكم"[234]. أما "حمدان خوجة" فقد أشاد بأفعال العثمانيين، ومدى التزامهم بالقوانين، وابتعادهم عن كل ما يسيء إليهم "ومن النادر أن تجد سارقا أو قاتلا من هؤلاء الجنود، وقد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليحببوا أنفسهم إلى سكان الإيالة، ومن كانت لهم بعض المساوئ كانوا يعملون على إصلاحها، أو يخفونها بدقة، لأن مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم"[235]. كما يظهر في نفس الصدد بعض الأفعال التي انفرد بها بعض الحكام العثمانيين "فنجد الكثير منهم لا يتزوجون عمدا ليتركوا ثرواتهم إلى بيت المال"[236]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى عبر "حمدان خوجة" بأن "وهناك وسيلة أخرى استعملها الأتراك لاكتساب ثقة الأهالي وتتمثل في تطبيق العدالة والإنصاف الذين يعتبران أساسا لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة. وعندما يتم التأثير على العقول فإن الأجسام تتبع بالطبع، وما الفتح الحقيقي إلا ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد" [237].

وفي مجال محاربة الفساد يشيد "حمدان خوجة" ببعض الصفات التي أكسبت العثمانيين ثقة السكان طيلة وجودهم بالجزائر فيقول: « كانوا يظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدين، و يمتنعون عن القيام بكل ما هو مناف للقوانين، ولا يعملون إلا بالقانون، ولفائدة القانون، ثم هناك وسيلة ثالثة عرضية فحواها أن الأتراك يقيمون الصلاة بانتظام، هذه هي الأسباب التي جعلت سكان الإيالة يخضعون طواعية للأتراك ويثقون فيهم، وإذا اعتزمت إحدى القبائل على تشويش الأمن العام، فإن القبائل الأخرى تنضم إلى الأتراك لمحاربتها، وقلما يلجأ هؤلاء إلى قوتهم الحربية، وإنما كانوا يفضلون الاعتدال لبلوغ الأهداف التي وضعوها لأنفسهم"[238].

نستنتج مما سبق بأن علاقة السلطة الحاكمة مع الفاعلين الاجتماعيين (القادة، المرابطين، المتصوفة الفقهاء، الشعراء، العلماء، المثقفين، وأعيان القبائل...) اتسمت بالتفاعل الايجابي خاصة في الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمناطق المحتلة من طرف الإسبان، ويرجع هذا إلى وجود المصلحة المشتركة.

ولكن، تجدر الإشارة هنا إلى أنّ بعض أعيان القبائل رفضوا الانقياد إلى السلطة العثمانية إلا بعد تيقنهم من المحافظة على مكانتهم الاجتماعية وصلاحياتهم.

---

[234] الزبيري (محمد العربي): مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1973، ص ص 200-201.

[235] حمدان خوجة (بن عثمان) ... مرجع سبق ذكره، ص119.

[236] المرجع نفسه، ص 135.

[237] المرجع نفسه، ص 110.

[238] المرجع نفسه، ص 111.

النموذج السلبي:

يمثّل هذا النموذج مجموعة من الفاعلين، أهمهم: بلقاسم الرحموني الحدادي، بلقندوز القداري التيجيني، الحسين الورثيلاني، مسلم بن عبد القادر الوهراني، الشريف الزهار، ولكحل بن خلوف... تميزت نظرة بعض الفاعلين إلى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، وخاصة في مرحلة التحرير الكامل للمناطق المحتلة (1207-1792) بالإيجاب، ولكن، وفي المقابل هناك فاعلون يمثّلون النموذج السلبي لكنهم قليلون وقد يرجع هذا إلى "أنّ معظم المؤرخين الذين وصلتنا آثارهم وإنتاجهم كانوا من الموالين للأتراك أو موظفين عندهم، ومن ثمة كان من الطبيعي ألا يصوّروا القضايا إلا بما يرضي الهيئات الرسمية "[239].

ونذكر على سبيل المثال أنه ومن أبرز الذين عبروا عن تذمرهم، استيائهم ونقمتهم على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر الشاعر"سعيد المنداسي" الذي كان من أشد الغاضبين والمستائين على سياستهم وخاصة في تلمسان، وهاجر إلى المغرب وعاش في بلاط الملوك العلويين، حيث قال فيهم:

فما دبّ فوق الأرض كالترك مجرم ولا ولدت حواء كالترك إنسانا
عتوا واستفزوا المسلمين من القرى وقد عبدوا حمر الدنانير أوثانا
وأكبر شيء أفسدته أكفهم تلمسان عين الغرب علمًا وإيمانا"[240].

ولم يكتف "سعيد المنداسي" بتعبيره عن رفضه وكرهه للأتراك فحسب، بل ومن ولاهم وساندهم من العلماء، ونشير في هذا الصدد إلى قصيدته التي هجا فيها" ابن زاغو" وهو شيخ تلمسان ومفتيها لما وقف مساندا ومؤيدا سياسة الأتراك بتلمسان، والتي أسماها "الإعلام فيم وقع للإسلام من قبل الترك بتلمسان والجزائر:

فقل لإبن زاغو للضّلال أئمة تدبر لحاك الله ما قال مولانا
ولا تركنوا و الركن منك سجية كأنك لم تسمع من الله قرآنا"[241].

---

[239] بن سحنون (الراشدي أحمد): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: البوعبدلي (المهدي)، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 37.

[240] المرجع نفسه، ص ص 56-57.

[241] المنداسي (سعيد بن عبد الله التلمساني): ديوان شعر، تحقيق وتقديم: بونار(رابح)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص ص 87-91.

وكان الشاعر "ابن السويكت" من الناقمين على السلطة العثمانية لرغبتها في إخضاع قبيلته "سويد" بالقوة. وهذه الأخيرة ثارت ضد العثمانيين في القرن 10هـ 16 م، وكانت قاعدتها مدينة تنس البحرية"[242].

وقد أشار "الحسين الورثيلاني" إلى ثورات الغضب التي عرفتها الجزائر في عهده، وهذا في سياق حديثه عن عودته من رحلة الحج: وصلنا إلى مقامنا ودارنا ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181هـ واحد وثمانين ومئة وألف ...فسألنا الله التوبة الصادقة ...والعصمة من الفتنة فإنّ أشر الشرور في وطننا الفتنة والقتال بينهم، فليس مر أشر من هذا"[243].

كما تحدث الورثيلاني عن هذا الفساد الذي كان متفشيا في أوساط السلطة الحاكمة في سياق حديثه عن مدينة بسكرة فيقول: وقد سمعت أنّ القاضي والمفتي فيها لا يتولى إلا بإعطاء لهم وارتشاء لديهم، وكذا في غيرها من عمالة الجزائر. ولم ينته الأمر عند هذا، بل تجاوزه إلى الاعتداء على الأوقاف في بعض الأماكن حسب ما جاء على لسان الورثيلاني في استياء كبير مما آل إليه أمر مدينة بسكرة، نتيجة هذه السياسة فيقول: غير أنّ الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيما، وما كان من المدارس والأحباس التي لا توجد في الأمصار هي في أيديهم، يأكلون منها وينتفعون بها أتم انتفاع كالأملاك الحقيقية المباحة، بل هي ليست لهم، ولا أنهم من أهلها، بل تمردوا وطغوا، جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا.

كذلك كان تذمر البعض من الفساد وهذا ما ذكره "ابن حمادوش" ضمن رحلته عن استخدام الوساطة في التهرب من المكس. يقول متحدثا عن نفسه: "إلى يوم الاثنين، فتحت دكاني وكنسته وجلست فيه بعد صلاتي في الجامع الكبير. وكان لي تلميذ، ابن عمتي، يصطحب مع خوجة الملح .وكان إذاك علج الباشا إبراهيم، فطلبت منه أن يطلب من صاحبه إجازة سلعتي، فنزل إليه وجلس عنده حتى وجّهتها له هنا، فأدخلها مخزنه وبعثها مع أحد خدّامه. فلم يمسكه صاحب الباب. فسلمت من المكس"[244].

فهذه السلوكات وعوامل أخرى كانت وراء تمرد بعض السكان على السلطة الحاكمة. ولعل من بين العوامل التي أدت إلى نفور بعض الفئات الجزائرية من الخضوع للحكام يعود لنظرهم إلى الأتراك

---

[242] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص213.

[243] راجع: الورثيلاني (حسين): نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

[244] ابن حمادوش (عبد الرزاق الجزائري): لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، رحلة ابن حمادوش، تقديم وتحقيق وتعليق: سعد الله (أبو القاسم)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص114.

العثمانيين على أنهم غرباء أعاجم عن الأصالة العربية، وشرافة النسب التي تخوّل لهم السيادة على العالم الإسلامي"[245].

ولفهم النموذج السلبي نحلل الميدان الثقافي: فهل كانت للدولة العثمانية سياسة تعليمية في الجزائر؟. إن الدارس للجانب الثقافي من تاريخ الجزائر إبان العهد العثماني لا يجد ما يشير إلى ذلك، لأن التعليم في هذه الفترة ارتبط بالأفراد والعائلات والمؤسسات الخيرة الحرة"[246]. بينما ظل دور الدولة العثمانية هامشيا، وغير فعال.

وتظهر سلبية الوجود العثماني في الجزائر في الميدان الثقافي على الخصوص. فالعثمانيون قد حافظوا في البداية على الدين الإسلامي وشجعوا تيار التصوف في البلاد وأوقفوا بعض الأحباس على المؤسسات الدينية وساهموا في بناء الزوايا والمساجد، فكأن نظرتهم إلى الدين كانت نظرة تعبدية، فهم لم يؤسسوا جامعة كالقرويين أو الزيتونة أو الأزهر تبث العلم وتخرج العلماء والكتاب وتحفظ اللغة وتربي العقل"[247].

وقد أكد "أبو القاسم سعد الله" ذلك بوصفه "كان حكام الجزائر الأتراك في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة...ثم أنهم كانوا يحكمون الجزائريين بيد من حديد ويسلبونهم أموالهم وثرواتهم عن طريق الضرائب والرشوة والهدايا...وقد مكنوا طائفة اليهود في الاقتصاد، وكانوا يفضلون الأسيرة المسيحية على المرأة الجزائرية"[248].

"وإذا كانت الدولة العثمانية لم تول اهتماما وعناية بشؤون التعليم والتربية فهي من جهة أخرى لم تعمل على عرقلة ومحاربة التعليم الخاص الذي انتشارا واسعا، ويمكن أن نسمي موقفها هذا إزاء التعليم بالحياد الإيجابي"[249].

لقد أرجع المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" محدودية العطاء الثقافي الجزائري التي أسبغت الحياة الفكرية خلال الفترة العثمانية، طابع الجموع ويعود ذلك إلى طبيعة الإدارة ونوعية الحكم ومواقف الحكام والى تأثيرات الفوضى السياسية والاضطرابات الاجتماعية فأظهر نقمته على الحكام في العهد العثماني لبعدهم عن الثقافة وإهمالهم الصفوة المتعلمة من الأمة، وهو ما عبر عنه بقوله: «إن ظاهرة

---

[245] ابن خروف (عمار): «إخفاق العثمانيين في احتواء وعثمنة المغرب الأقصى» في: المجلة التاريخية المغاربية، عدد 114، 2004، ص17.

[246] لمزيد من التوضيح راجع في موضوع مؤسسات الوقف التي كانت تهتم بالزوايا، المساجد، الأضرحة، والمدارس وتقدم النفقات لموظفيها وطلبتها والفقراء:

- سعيدوني (ناصر الدين): «موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر أواخر العهد العثماني» في: المجلة التاريخية المغربية، العدد 57-58، 1990، ص ص 175 – 192.

[247] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص ص 18– 19.

[248] المرجع نفسه، ص ص14– 15.

[249] هلايلي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر 2008، ص 256.

الجمود الثقافي كانت بارزة في العهد العثماني الذي درسناه وهو ليس خاصا بالجزائر ولو كانت الثقافة في بقية العالم الإسلامي نشطة لاستفاد منها الجزائريون أيضا"[250].

_ دلالات أفعال السلطة بالنسبة إلى الفاعلين الاجتماعيين:

لتحليل الدلالات، ولتوضيح الحياة الضنكة لبعض المثقفين الذين لم يستفيدوا من التواجد العثماني بالجزائر نذكر: "عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري (1695 أواخر القرن 18م) وهو من الأشراف وينتمي لعائلة من التجار والحرفيين الصغار كان قد احترف العلم، فكان نصيبه من حياة الضيق والفقر والتهميش عاش حياة مليئة بالفقر والضيق، وحاول الجمع بين العلم والتجارة فلم يحالفه النجاح، لأنه كما قال كان لا يفارق الكتب"[251].

"وبالرغم من كثرة أسفاره إلى المشرق والمغرب الأقصى وعلاقته بحكام المناطق التي زارها وبعلمائها الذين أجازه بعضهم اعترافا بعلمه وفضله، ظل ابن حمادوش مجهولا شأنه شأن العامة من سكان الجزائر الذين شملهم الإهمال والاستخفاف"[252].

"وإذا ما استثنينا الفئة المتميزة من العلماء الذين غالبا ما يلجأ الحكام لخدماتهم كقضاة ومفتين مع ما لهم من دور في إضفاء الشرعية عليهم وخدمتهم والاستفادة منهم وهم من حيث العدد قليلون، فإن الغالبية العظمى من المتعلمين المجازين في علوم الدين ممن يمتهنون التعليم إما بالمدارس والمساجد أو الكتاتيب أو ممن يمتهنون الإمامة بالمساجد ويقومون بخدمتهم هم أكثر عددا"[253].

مثلا "مجموع العاملين في المساجد بالجزائر قبل 1830، من حيث أبسط الخدم، فتوصل إلى أن عددهم بلغ 3700 شخصا، وأغلب أفراد هذه الفئة المتعلمة هم من العائلات الحرفية والتجار الصغار، وهي أقرب من الفقر إلى الغنى"[254].

وتجدر الإشارة بأنه وبالرغم من الكفاءات التي تميز بها " ابن حمادوش" غير أنه لم يحض باهتمام ذوي السلطة و«لم يتقلد مناصب إدارية ولا مناصب دينية من الفتوى والقضاء والتدريس الرسمي ولم يتقرب إلى الولاة والوزراء"[255].

«تحتوي رحلة ابن حمادوش: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" على معلومات في غاية الأهمية عن ظروف الحياة الصعبة التي عاشها هذا العالم والتي جعلته يصل إلى أدنى

---

[250] سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر... مرجع سبق ذكره، ص 13.

[251] المرجع نفسه، ص 425.

[252] هلايلي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر 2008، ص 257.

[253] المرجع نفسه، ص 258.

[254] ريمون (أندري): المدن الكبرى في العصر العثماني، تر: فرج (لطيف)، دار الفكر، القاهرة، 1991، ص74.

[255] سعد الله (أبو القاسم): الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري حياته وآثاره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 18.

درجات التهميش في مدينة الجزائر، فقد سافر إلى المغرب مبتغيا التجارة و مؤملا في تحسين أوضاعه العائلية المتردية"[256]. كان ابن حمادوش مثالا للعلماء العاملين من أهل الجزائر الذين فضلوا حياة الظل في الهامش، على التذلل والتقرب من جماعة الأتراك المهيمنين على كل شيء"[257].

نخلص مما سبق إلى وجود نموذجين: الأول القائل بوجود دولة جزائرية سيدة ومستقلة، والثاني يرى بأن الجزائر تابعة ومستغلة من طرف السلطة العثمانية:

النموذج الأول: الدولة الجزائرية السيدة والمستقلة

أساس قيام أي دولة تستوجب عدة عناصر أهمها: الإقليم، المجموعة البشرية، سلطة واستقلال فعلي تام واعتراف دولي. ونذكر في هذا الصدد أنه وفي تاريخ 1711 رفض الداي "علي شاوش" استقبال الموفد من اسطنبول لحكم الجزائر، ليتقرر بذلك شبه استقلال الجزائر عن الباب العالي واتجاهها نحو الجزأرة.

لكن، رغم ذلك ظل الحكم بالجزائر مرتبط روحيا وضمنيا بالأستانة، ونذكر في هذا الصدد مراسلات دايات الجزائر إلى السلطان العثماني من أجل مدهم بالجيش من أجل قمع الثورات الداخلية. وكمثال على علاقة التبعية استغاثة الباي أحمد لصد الاحتلال الفرنسي للجزائر. وهذه التبعية لم تستفد منها غير الأقلية التركية الحاكمة وذلك بإعفائها من إرسال الحصة التي يقتطعونها إلى اسطنبول. هذا بالإضافة إلى انغلاق السلطة العثمانية على نفسها وإبعادها غير الموالين لها عن مقرها دار السلطان.

ونجد خطاب الجزائر المستقلة في كتب الرحالة، والكتاب والمؤرخين الأوربيين الذين وصفوا الجزائر بعدة عبارات مثل: إيالة الجزائر، الدولة البربرية، الدولة الجزائرية ...

ولكن، هل مثل هذه العبارات تعكس وجود الجزائر كالدولة لها كيان مستقل؟.

لقد عمد الحكام الأتراك في أواخر عهدهم بالجزائر إلى التخلي عن هذه السياسة العنصرية بإسناد حكم البايلكات الجهوية إلى الكراغلة والاستنجاد بقبائل المخزن، وذلك يدل على وجود إرادة جزأرة نسبية في تسيير الدولة وخاصة مع تراجع القوة الإنكشارية وتناقصها بالنظر للتحوّلات التي كانت تشهدها الإمبراطورية العثمانية داخليا: القضاء على الجيش الإنكشاري في عام 1826 وتراجع مواقعها الأوربية واعتماد حركة إصلاحية.

---

[256] هلايلي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر 2008، ص 259.

[257] المرجع نفسه، ص 261.

ومن هذا المنطلق نتساءل عن ماهية البعد الجزائري لمثل هذه السلطة العمومية في هذه الحالة ؟. "أما المهمة الأمنية التي سهر الأتراك على ضمانها فكانت موجهة إلى خدمتهم. ولطالما حاولت السلطة القائمة استمالة العائلات القيادية الجزائرية والطرق الدينية لها لضرب هذا بذاك، من أجل ضمان أمن الأقلية التركية. ولكن، بمجرد أن بدأت تلك السلطة تميل للضعف والتقهقر، سرعان ما ناهضتها نفس القوى القيادية المساندة لها بالأمس وزعزعت أركان دولتها من خلال سلسلة الانتفاضات، إثباتا لعلاقة التنازع والتنافر التي طالما ميزت مثل هذه المجموعة البشرية بالدولة المزعومة ايديولوجيا"[258].

وتجدر الإشارة بأنّه أحيانا يصعب تحديد سلبية أو ايجابية النموذج، وهذا راجع إلى صعوبة تحديد العلاقة بين الطرفين لميوعها:

حلل "مولاي بلحميسي"[259] في دراسته ماهية البحرية من حيث التركيبة البشرية والمادية، المكانة الاجتماعية والاقتصادية، علاقتها بالسلطة وتطورها.....

فالتركيبة البشرية للبحارة تشير إلى أنهم من مجموعات اجتماعية مختلفة كالمرتدين والمرتزقة والأسرى الأوربيين الفارين من الأوضاع المتدنية وبحثا عن الاستقرار والثراء.

كما ساهمت البحرية في الاقتصاد فهي تعتمد على صناعة الخشب والتي منحت مكانة مرموقة لبعض العائلات مثل عائلتي المقراني بمجانة وبني صالح جنوب عنابة قبل أن تنتقل هذه الامتيازات وتحتكرها عائلتي بكري وبوشناق اليهودية والتي كان لهما دور بارز في الاستدمار الفرنسي للجزائر فيما بعد.

كما حلل الدور الإيجابي والفعال للبحرية في الجهاد الإسلامي. لكن، هذا الوصف ينطبق على المرحلة الأولى من تاريخ البحرية (مرحلة البيلربايات) والتي تنتهي مع معركة "ليبانت" (Le pante) عام 1571 إذ بعدئذ تصاعدت أعمال القرصنة للبحرية في حين كانت أوربا تشهد تطورا متناميا. مما أدى إلى تراجعها، ويعود التراجع الملحوظ على البحرية حسب بلحميسي إلى تدهور الوضع السياسي للبلاد «منذ بعض العقود، عادت الإيالة مفخخة ببذور

---

[258] عبيد (أحمد): « التأريخ الجزائري: تقييم ونقد –حالة الجزائر العثمانية–» في: إنسانيات، عدد 47-48، 2010، ص68.

[259] راجع في هذا الصدد:

-Belhamissi (Moulay): Marins et marine D'Alger à L'époque Ottomane (1515-1830), Thèse de doctorat d'état, université de Bordeaux III, 1988.

خرابها. بوصفها مستعمرة استغلال وجمهورية عسكرية، فإن البلد لم يعد يتحمل حكم أقلية تركية، تعيش منغلقة على نفسها. وتحتكر ممارسة ومنافع السلطة"[260].

لقد أعطى المؤرخ عدة أوصاف للبحرية لإضفاء البعد الوطني الجزائري كالأسطول الجزائري، البحرية الجزائرية..لتتشكل في المخيال الاجتماعي البعد الجزائري لماهيتها في حين فند التحليل التاريخي هذا البعد.

النموذج الثاني: الدولة الجزائرية العثمانية

عبر "ناصر الدين سعيدوني" في دراسته حول النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830" عن أن معظم كتابات الفرنسيين التي تناولت العهد العثماني ليس فيها ما يكسب الجزائر الشخصية الوطنية والكيان المستقل، ومنه فدخول فرنسا للجزائر وضع حدا للاستغلال العثماني "وهذا الرأي يتماشى مع أهداف مدرسة مؤرخي الاستعمار الفرنسي بالجزائر، وفي هذا المسعى نرى بأن سعيدوني يقابل غلو مدرسة "استعمارية" بغلو"مدرسة وطنية"[261].

وإذا حللنا ضمن هذا النموذج علاقة الجزائر بالإمبراطورية العثمانية نستنتج ميوع الانتماء:

- إن مصطلح "الإيالة" لم يستعمله الباحث كترجمة أو بديل لكلمة الولاية، بل هو مجرد تعبير تاريخي دل به على الدولة الجزائرية في علاقاتها الدبلوماسية الخارجية وخاصة مع الإمبراطورية العثمانية.

- ولهذا إذا تعلق الأمر بأنظمة البلاد الجزائرية فإنه يستعمل تعبير الدولة الجزائرية. أما إذا تعلق الأمر بالقضايا المالية للأقلية الحاكمة بالجزائر فيستخدم عبارة "الحكم التركي" بينما إذا تعلق الأمر بانتساب الجزائر للسلطة العثمانية فيستخدم عبارة "الجزائر العثمانية".

وفي هذا الإطار نجد دلالات متباينة للوصف مثل الحكومة الجزائرية، السلطات الجزائرية، الأتراك الحاكمين، الحكم التركي..."[262]. هذا بالإضافة إلى أنه رغم الاهتمام بالجانب الاقتصادي

---

[260] Belhamissi (Moulay) : Marins et marine D'Alger à L'époque Ottomane (1515-1830). Thèse de doctorat d'état, université de Bordeaux III, 1988, p675.

[261] عبيد (أحمد): «التأريخ الجزائري: تقييم ونقد – حالة الجزائر العثمانية» في: إنسانيات، عدد 47-48، 2010، ص61.

[262] راجع في هذا الصدد:
سعيدوني (ناصر الدين): النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792- 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط 3، ص ص221-239.

المالي للجزائر كونه أساس قيام أي نظام سياسي لكنه لم يخدم كل أفراد المجتمع الجزائري بل "لم يكن النظام المالي يخدم سوى مصالح الطبقة التركية الحاكمة"[263].

ويؤكد هذا في تحليله لما آلت إليه أحوال الأوضاع الاقتصادية إبان العهد العثماني "لكن هذه الأحوال الاقتصادية السيئة لا تسمح لنا بأن نقر التهم القاسية التي ألصقها كثير من الكتاب الأوربيين بتصرفات السلطات الجزائرية في الأمور المالية. وملخص هذه التهم الأوربية، أن الأتراك الحاكمين في الجزائر لم يكونوا مهتمين إلا بحاضرهم، فلم يعيروا للمستقبل أدنى اهتمام، وبذلك، اتصفت حكومتهم بالآنية والعمل من أجل فائدتهم الخاصة"[264].

وما يفند مزاعم تاريخية ثبوت الدولة الجزائرية ذات البعد الوطني، أنه إذا ما تعنتنا في اختلاف أسباب وجود الدولة الجزائرية السابقة عن الاحتلال الاستعماري الفرنسي سنغفل عن دلائل تاريخية موضوعية تثبت العكس كما سنطرح جانبا المسؤولية التاريخية التي تعود للوجود للوجود العثماني بالجزائر في تقرير مصيرها اللاحق. ففيما يتعلق بالدلائل العكسية التي يأتي بها الخطاب التاريخي الجزائري نفسه والتي تجعله يتناقض مع نفسه ما يلي:

أ- الاعتماد في دولة الأمير "الأمير عبد القادر". لقد أصبح راسخا عند المؤرخين الجزائريين والأجانب منهم عند الساسة والكتاب وفي خطاب الذاكرة الجماعية، بأن "الأمير عبد القادر" هو مؤسس الدولة الجزائرية الوطنية الحديثة، فهو الذي وضع لبناتها.

وإليه تستند مرجعية الدولة الوطنية المستقلة. إذا كان الأمر كذلك، فهذا يفند الطرح الأول. إما أن نتمسك بنشأة الدولة الجزائرية مع مبادرة الأمير وإما أن نؤرخ لها قبل 1830.

ب- الاحتلال الإسباني لوهران. فخلال التواجد العثماني بالجزائر، استثنيت منه "وهران" التي ظلت تحت الاحتلال الإسباني إلى وقت متأخر من القرن الثامن عشر. وعندما نؤرخ للحدث، لا نتردد في تسمية الأشياء بمسمياتها لاستخلاص بأن وهران آنذاك كانت تحت احتلال أجنبي إسباني، فكيف نتحفظ في وصف مثيله العثماني؟.

ت- "نظرة الأتراك لماضيهم بالجزائر. فإذا ما زرنا "إسطنبول" ومتحفها الوطني "Top Kapi" أو قصر السلطان العثماني، تستقبلنا خريطة معلقة على باب مدخله ترسم لنا حدود الإمبراطورية العثمانية التاريخية لتخلد أمجاد الماضي العثماني في تبيان نطاق الحيازات العثمانية التي مددتها

---

[263] المرجع نفسه، ص 14.

[264] المرجع نفسه، ص 237.

الخريطة بالنسبة لشمال إفريقيا إلى غاية "فاس"، الأمر الذي يجعلنا نتساءل: لماذا لا يرى الأتراك حرجا في مواجهة تاريخهم ولماذا نحن نتحفظ في الحكم عليه؟."[265].

ث- الاستعمار الفرنسي المبكر للجزائر، والحكم على هذا الميراث التاريخي يجعلنا نلخصه في الصيغة التالية: إن التواجد العثماني بالجزائر كان نعمة ونقمة في آن واحد، كان نعمة وقت أن ارتبط تدخله بالجهاد البحري في وجه الصليبية الأوربية والأيبيرية، لكنه تحول إلى نقمة في آثاره مع تحول هذا الصراع إلى عمل قرصني دولي تنحصر دوافعه في منافع تجارية.

نستنتج مما سبق واستنادا إلى: العقلانية باختلاف الهدف بالنسبة إلى القيمة، حسب "ماكس فيبر" أنّ هناك تباين في الرأي، مما ينم على أنّ قيام دولة جزائرية في ظل الحكم العثماني لم يكن مؤسسا.

استنادا إلى كل ما سبق نستنتج:

بأنّ أي مفهوم قيام الدولة الجزائرية إبان التواجد العثماني حسب " فيبر" يبنى على عقلانية الأفعال، ومفهوم العقلانية عند " فيبر" مثلا يبنى على افتراض أن معنى أفعالنا يتحدد بالنسبة إلى المقاصد أو الغايات، ولتوقعات الآخرين، وكل علم اجتماع يهمل هذه الفرضيات يصل إلى عدد لا متناه من الاستدلالات الخاطئة". [266]

ومنه، تباين النصوص التاريخية ما بين المؤرخين (كتابة وقراءة) يرتبط بتمثلات المؤرخ وهذه الأخيرة تبنى حسب مقاصده وغاياته، مما يبين تأثر النص التاريخي بمختلف تمثلات المؤرخ.

---

[265] عبيد (أحمد): «التأريخ الجزائري: تقييم ونقد – حالة الجزائر العثمانية» في: إنسانيات، عدد 47-48، 2010، ص70.

[266] شوشان (زهرة): «الهوية في الحكاية الشعبية الجزائرية –دراسة سوسيولوجية-» في: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، عدد خاص، 2011، ص 698.

محاضرة 12

3_8_ هجرة العلماء

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني وخاصة ما بين (1520- 1830) هجرة واسعة لعدد هام من علمائها نحو مناطق عديدة من العالم الإسلامي، وخاصة نحو المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي، مما شكل نزيفا خطيرا وأثر تأثيرا سلبيا على الحركة العلمية في الجزائر آنذاك. وقد تعددت الأسباب والدوافع التي دفعت بهؤلاء العلماء إلى المغادرة، ومن بينها تراجع الحركة العلمية وتدهور التعليم في تلك المرحلة حسب ما تؤكده بعض المصادر، وهي الظاهرة التي مست معظم العالم الإسلامي، فلا نكاد نصادف خلال هذه المرحلة إلا عددا قليلا من العلماء الذين ذاع صيتهم. ولم يكن هذا غريبا على تلك الفترة، خاصة وأن الأتراك العثمانيين ركزوا كل اهتمامهم على حركة الجهاد البحري وصد هجمات الأوربيين المتتالية على سواحل الجزائر، ولهذا لم يولوا الثقافة الاهتمام الذي تستحقه، فغلب على عهدهم الجمود الفكري والثقافي، وربما كذلك لأنهم كانوا أعاجم لا يتقنون لغة أهل البلد. غير أن هذا لا ينفي أبدا وجود حركة ثقافية ورثتها بعض الحواضر كتلمسان وبجاية ومازونة وقسنطينة عن الفترة السابقة للعهد العثماني، فكان نتاج ذلك أن نبغ عدد هام من العلماء تركوا لنا رصيدا علميا وأدبيا معتبرا، ويضاف إلى ذلك أن بعض الحكام، خاصة الدايات، شجعوا العلم والعلماء، ومن هؤلاء محمد بكداش (1707- 1710)، الذي كان له نصيب وافر من العلم، فقرب إليه العلماء والأدباء الذين أصبحوا من جلسائه، مما أثر إيجابيا على تطور الحركة الأدبية، وأخذ الأدباء يقرضون الشعر ويكتبون النثر في شتى المجالات . ومنهم محمد بن ميمون الجزائري الذي سجل أحداث فتح وهران الأول عام 1708م في قصيدة طويلة سماها" التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية".

في الأخير تجدر الاشارة بأن الجزائر بعد التواجد العثماني خضعت للاستدمار الفرنسي من 1830 إلى 1962 قرابة القرن والنصف حيث عمل الاستدمار الغاشم طمس معالم الثقافة الوطنية فمثلا حول القصور التي شيدت في العهد العثماني إلى قصور يقيم فيها الفرنسيون او نكان للإدارة الفرنسية مثل قصر "خداوج العامية" وقصر "مصطفى باشا" كما حوّل المساجد إلى كنائس مثل "جامع كتشاوة" ونهب وحرق إرث ثقافي كبير للعلماء ورجال الثقافة من كتب ومخطوطات وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

المجلس العلمي

أ_ باللغة العربية

_الكتب:

1- الجوهري (محمد): المدخل إلى علم الاجتماع، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.

2- الرازي (أحمد بن أبي بكر): مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1982.

3- السخاوي شمس الدين (محمد بن عبد الرحمن): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

4- السويدي (محمد): مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر مع الدار التونسية للنشر، تونس، 1991.

5- الشرقاوي (عفت محمد): أدب التاريخ عند العرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976، ج1.

6- الشناوي (عبد العزيز محمد): الدولة العثمانية دولة الإسلام المفترى عليها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1986.

7- العسيلي (بسام): خير الدين بربروس والجهاد في البحر، 1470- 1545م، دار النفائس، مصر، دت.

8- الفيلالي (محمد الطاهر): نشأة المرابطين والطرق الصوفية، وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الغرافيكي، الجزائر، 1976.

9- الزهار (الحاج أحمد الشريف): مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1972.

10- الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق الشيخ البوعبدلي (المهدي)، الجزائر، 1978.

11- لزيدي (مفيد): موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني (1516م-1916م)، دار أسامة للنشر، عمان، 2003.

12- المدني (أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492/ 1792، ش.و.ن.ت، الجزائر، دت، ص183.

13- _____: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

14- الميلي (محمد)، الشريط (عبد الله): الجزائر في مرآة التاريخ، مطبعة دار البحث، قسنطينة، 1965.
15- ابن خلدون (عبد الرحمان): المقدمة: تاريخ العلامة ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ط3.
16- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، 1970
17- ابن ميمون (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972.
18- ابن هطال (أحمد التلمساني): رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد (بن عبد الكريم)، عالم الكتب، القاهرة، 1969.
19- بشار (سعيد): قضايا إسلامية معاصرة، النخبة والإيديولوجيا والحداثة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2005.
20- بلحميسي (مولاي): سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1983.
21- بن العنتري (محمد الصالح): فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها. (تاريخ قسنطينة)، مراجعة تقديم وتعليق بوعزيز (يحيى)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
22- بن عودة (المزاري): طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
23- بوعزيز (يحيى): الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج2.
24- تركي (رابح): التعليم القومي والشخصية الجزائرية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، 1931-1956، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.
25- جوليان (شارل أندري): تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: مزالي (محمد بن سلامة)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978.
26- جوتشلك (لويس): كيف نفهم التاريخ، تر: عارف (عائدة سليمان)، أبو حاكمة (أحمد مصطفى)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966.
27- جون بابتست (وولف): الجزائر وأوربا، ترجمة وتعليق سعد الله (أبو القاسم)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

28- حليمي (عبد القادر): مدينة الجزائر -نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
29- حمدان خوجة (بن عثمان): المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: الزبيري (محمد العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.
30- خلوف (علي): السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999.
31- خوجة (حمدان بن عثمان): المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق الزبيري (محمد العربي)، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.
32- روزنتال (فرانتز): علم التاريخ عند المسلمين، تر: العلي (صالح أحمد)، مكتبة المثنى، بغداد، 1963.
33- زايد (أحمد)، عروس (الزوبير): النخبة الاجتماعية – حالتا الجزائر ومصر-، العربية للطباعة والنشر، مصر، 2005
34- زريق (قسطنطين): نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
35- سالم (السيد عبد العزيز): التاريخ و المؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
36- سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج2.
37- _____: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982.
38- _____: تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1998.
39- _____: المفتي الجزائري إبن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775 1850)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976.
40- سعد الله (فوزي): يهود الجزائر، هؤلاء المجهولين، شركة الامة للطباعة والنشر، الجزائر، 1995.
41- سليمان نوار (عبد العزيز): الشعوب الإسلامية، الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.
42- سعيدوني (ناصر الدين): الجزائر منطلقات وأفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
43- _____: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

44- _____: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

45- سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (المهدي): الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

46- شارل (أندري جوليان): تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: بن سلامة (البشير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983.

47- شلر (وليم): وليم شلر قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824)، تر: العربي (اسماعيل)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

48- شوتيام (أرزقي): نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره- 1830/1800، دار الفكر العربي، الجزائر، 2011.

49- شوفالييه (كورين): الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1541-1510، تر: حمادنة (جمال)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

50- عباد (صالح): الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

51- عبد القادر (نور الدين): صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

52- عنصر (العياشي): نحو علم اجتماع نقدي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

53- غيدنر (انتوني): علم الاجتماع، تر: الصباغ (فايز)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

54- فريد (محمد): تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة محمد أفندي مصطفى، مصر، 1893.

55- مبارك بن محمد (الميلي): تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، دت.

56- _____: رسالة الشرك ومظاهره، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، 1966.

57- مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط2، ج1.

58- ميلالي (يحي): العالم المعاصر الحديث، دار المعارف، مصر، 1965.

59- نهار (حسين): نشأة التدوين التاريخي عند العرب، منشورات اقرأ، بيروت، 1980، ط2.

60- هلال (عمار): أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1862، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1965.

61- هلالي (حنيفي): أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

62- هولتراكس (آية): قاموس الإيثنولوجيا، تر: الجوهري (محمد)، الشامي (حسن)، دار المعارف، مصر، 1973.

الرسائل الجامعية:

63- الغالي (العربي): الثورات الشعبية أثناء الحكم التركي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1988.

64- حلوش (عبد القادر):السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1873 -1914، رسالة ماجستير، غير المنشورة، كلية الآداب ، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985.

65- كشرود (حسان): رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية من 1659-1830، إشراف: قشي (فاطمة الزهراء)، ماجستير في التاريخ الحديث (غير منشور)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

66- مسعود سعيد (العيد): المجتمع الجزائري في العهد العثماني، ماجستير، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، إشراف: أحمد العقاد (صلاح الدين)، 1975.

المجلات:

67- البوعبدلي (المهدي): « "عبد الكريم بن الفكون القسنطيني" 988 – 1073 والتعريف بكتابة منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية» في: الأصالة، عدد13، 1973.

68- التميمي (عبد الجليل): «العرب والترك في إطارا لدولة العثمانية» في: المجلة التاريخية المغربية، عدد 17-18، 1980.

69- التميمي (عبد المالك خلف): «ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي» في: المجلة التاريخية المغربية، العدد30-29، 1973.

70- الغالي (العربي): «الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك» في: دراسات تاريخية، العدد 23، 1986.

71- بخوش (صبيحة): "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني"، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، في: حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 2 ،2008 .

72- بوزيدة (عبد الرحمان) « قراءة ثقافية للأزمة» في: الثقافة، عدد1، 1993.

73- بونو (سلفاتور): «العلاقات من الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي»، تر: بن التومي (أبو القاسم) في: مجلة الأصالة، العدد76.

74- سعادة (مولود): «النخبة والمجتمع» في: الباحث الاجتماعي، عدد 10، 2010.

75- سعد الله (أبو القاسم): «من أخبار الداي شعبان» في: التاريخ، عدد8، 1980.

76- سعيدوني (ناصر الدين): «ثورة ابن الأحرش بين التمرد الأهلي والانتفاضة الشعبية» في: الثقافة، العدد 78، 1983.

77- سعيدوني (ناصر الدين):«الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني» في: الجزائر في التاريخ، عدد4، 1984.

78- _____: «تدعيم الحكم التركي بالجزائر» في: الأصالة، عدد 32، 1976.

79- شوشان (زهرة): «الهوية في الحكاية الشعبية الجزائرية –دراسة سوسيولوجية– » في: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، عدد خاص، 2011.

80- عبيد (أحمد): «التأريخ الجزائري: تقييم ونقد – حالة الجزائر العثمانية» في: إنسانيات، عدد 47-48، 2010.

81- غيات (بوفلجة): «التربية والتكوين في الجزائر» ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 ص 22، عن ابن شنب " النهضة في القرن 19م في: مجلة كلية الآداب ، الجزائر، 1964

82- موسى كاظم (نورس علاء): «مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية» في: المجلة التاريخية المغربية، عدد 25، 1982.

83- يحي بوعزيز(يحي): «أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 – 20 م» في: مجلة الثقافة، العدد 63، 1989 .

الأرشيف:

84- الوثائق الأرشيفية، الأرشيف الوطني الجزائري (بئر خادم)، المحاكم الشرعية، علبة 4، وثيقة 17، المتضمنة زواج الداي شعبان من نفيسة بنت العلامة محمد بن عبد المؤمن.

85- الوثائق الأرشيفية، المكتبة الوطنية الجزائرية، قسم المخطوطات، المجموعة 3206، الملف 2، وثيقة 52، المتضمنة إعفاء بعض العلماء من المطالب المخزنية.

ب_ باللغة الفرنسية:

86-Aron (Raymond) : Dimension de la conscience historique, librairie Plan, 1964.

87- Boyer (Pierre) : La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Imp Nationale, Monaco, 1964.

88-Benachenhou (Abdellatif) : L'état Algérien en 1830 ,Ses institution sous l'Emir Abdelkader, S,N,E,D, Alger, 1969.

89-Belhamissi (Moulay) : Marins et marine D'Alger à L'époque Ottomane (1515-1830), Thèse de doctorat d'état, université de Bordeaux III, 1988.

90-Boutin (Vincent Yves): Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, pub, par Gesquer, Paris, Champion, 1927.

91-Braudel (Fernand): Histoire et sociologie dans un ouvrage a plusieurs auteurs traite de sociologie, Puf, Paris, 1968.

92-Chitour (Chems eddine): Algérie le passé revisite, ed Casbah, Alger, 1998.

93-De Grammont (Henri) :Histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), Leroux, Paris, 1887.

94-De Haedo (Diego) : Histoire des rois d'Alger , ed Bouchene, Alger,1998.

95-_____ :Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de dr monnerau et A.berbrugger, présentation de Jocelyne dakhlia, éditions bouchene, 1998.

96-De Tassy (Laugier):Histoire d'Algérie et le bombardement de cette ville en 1725 Amesterdam, S.M.E, 1816.

97-De Tassy (Laugier), Boyer de Prébendier (Pierre): Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie contenant l'origine des révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de Tunis, de tripoli et de Maroc. Traduit de l'anglais ,tome 2, Paris.

98-Djender (Mahieddine): Introduction a l'histoire de l'Algérie, Enal, Alger, 1991.

99-Feraud (Charles) : Histoire des villes de la Province de Constantine, Bougie, L.Arnault.sd.

100- Gaid (Mouloud) : L'Algérie sous les turcs, ed Mimouni, Alger, 2ed, 1991.

101- Rinn (Louis) : Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie, A.Jourdan, Alger, 1884.

102- Malinowski (Bronislaw): Une théorie scientifique de culture, tra : cliquart (pierre), f Maspero, 1970.

103- Merad Boudia (Abdelhamid) :La formation social algérienne précoloniale, o.p.u , Alger, 1998.

104- Noeschi (André) :Enquête sur le niveau de vie des population rurales constantinoises, P.u.f, Paris, 1961.

105- Kaddache (Mahfoud) : L'Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger, 1991.

106- Linton (Ralph): Le fonda culturel de la personnalité , tra : Léotard dynode (André) , Paris, 1968.

107- Pananti (Filippo): Relation d'un séjour à Alger contenant des observation sur l'état actuel de cette régence, trad, de l'anglais, paris, 1830.

108- Vatin (Jean-Claude) : L'Algérie Politique, histoire et société, Arnaultn, Paris, 1974.

109- Sahli (mohamed cherif) :Décoloniser l'histoire, l'Algérie accuse le complot contre les peuples Africaines, entreprise Algérienne de presse, Alger, 1986.

110- Saidouni (Nacer-eddine): L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830),Der el gherb el islami, Beyrouth, 2001.

111- Raymond (André) : Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Sindbad, Paris 1985.

112- Julian (Charle-André) :Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation, P.u.f, Paris, 2ed, 1979.

Reveux :

113- Boyer (Pierre) : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16éme_ 19éme siècle » IN : R.O.M.M, N°1, 1966.

114- Feraud (Charles) :« Les cherifs kabyles de1804 -1809 dans la province de Constantine » In: RA. N°13, 1869.

115- Filali (Kamel): « Sainteté maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane » In : Insaniyat, N°3, 1997.

116- Rinn (Louis) : «Le royaume d'Alger sous les dernier Deys» In : RA, N°41, 1897.